



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية: العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الانسانية
مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة
في التاريخ
تخصص تاريخ: المغرب العربي الحديث والمعاصر

الصراع اليوسفي البورقيبي 1954 - 1956

:

/

:

:

* محمد ونيسي

رئيسا

—

—

—

2014 /2013 :

ملخص الدراسة باللغة العربية .

تناولت هذه الدراسة والموسومة ب :

«الصراع البورقيبي اليوسفي في الفترة الممتدة من 1954 – 1956».

والتي كانت حول طبيعة الصراع الذي دار بين زعيمين سياسيين للحزب الدستوري الحر التونسي الجديد بين الديوان السياسي بزعامة الحبيب بورقيبة من جهة والأمانة العامة بزعامة صالح بن يوسف من جهة أخرى .

يمكن الإشارة إلى إن كلا من الزعيمين السياسيين نضالا في سبيل تحرير تونس من قيود الحماية الفرنسية وذلك في الفترة الممتدة من 1920 – 1956 . لهذا فكانت لهما نقاط اختلاف ونقاط تطابق عديدة وهذه القضية في اعتقادنا شكلت إشكالية الموضوع المحورية وجملة التساؤلات الفرعية مثل :

- ما هي الإرهاصات الأولى للعمل السياسي في تونس ؟

- كيف ساهم التكوين السياسي والاجتماعي لكلا من الزعيمين في الدخول بقوة في النشاط

السياسي وتزعم الحزب الدستوري الحر الجديد التونسي ؟

- كيف كانت البدايات الأولى للصراع بين الشخصيتين ؟

- ما هي جذوره والأسباب الحقيقية للصراع ؟

- ما هي انعكاساته ونتائجه على مستقبل تونس ؟

وكانت هذه الدراسة محاولة للإجابة على تلك التساؤلات الفرعية .

ارتكزت الدراسة على خطة منهجية اشتملت على مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين ثم خاتمة

وقائمة المصادر والمراجع ومجموعة من الملاح التي لديها علاقة مباشرة بالموضوع .

أما المقدمة جاءت مشكلة من العناصر المنهجية التي تتشكل منها المقدمة الرئيسة من تعريف بالموضوع وطرح الإشكالالخ من عناصر المقدمة .

وتعرضت في الفصل التمهيدي إلى بدايات العمل السياسي في تونس اثر توقيع معاهدة الحماية وختمنا الفصل بملخص له واهم النتائج المتوصل إليها.

وخصصت الفصل الأول للحديث عن المسار الاجتماعي والسياسي لكلا من الشخصيتين وتطرق بشيء من التفصيل عن المولد والنشأة للحبيب بورقيبة ثم النشاط السياسي له من البداية وإلى غاية اندلاع الثورة التونسية وكذلك الحال حول شخصية صالح بن يوسف وختمنا الفصل بملخص له واهم النتائج المتوصل إليها.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن مجريات الصراع بالإضافة إلى التطرق إلى أسبابه الحقيقية وجذوره ثم مراحل والمواقف الداخلية والخارجية من الصراع لينتهي الفصل بالنتائج والانعكاسات على مستقبل تونس وختمنا الفصل بملخص له واهم النتائج المتوصل إليها.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن حوصلة لما توصلت إليها الدراسة من استنتاجات .

بالإضافة إلى إرفاقنا للدراسة بملاحق والتي كانت لديها علاقة مباشرة بالموضوع وكانت مزودة بالصور عن الشخصيتين وتحركاتهم النضالية والسياسية .

Résumé de recherche en français

Cette recherche a enclavé le conflit entre Bourguiba et Ben Youcef et ce entre 1954 – 1956.

Cela concerne la nature du conflit politique entre les deux principaux chefs du « Nouveau parti constitutionnel libre » en Tunisie entre le bureau politique qui avait comme chef El Habib Bourguiba d'une part et le secrétariat générale présenté par Salah ben Youcef d'autre part.

Référence à faire pour les deux leaders politiques qui ont milité pour la même cause, celle de la libération de la Tunisie contre la domination française pendant la période qui s'étendait entre 1920-1956. Ces deux politiciens avaient des conceptions communes mais leurs altérités étaient aussi importantes. C'est de ces convergences et des divergences que nous avons pu édifier notre question phare ainsi que d'autres problématiques secondaires qui nous guiderons pour avancer dans notre recherche.

Nous citons à titre d'exemple :

- Quelles étaient les premiers indices qui reflètent le travail politique en Tunisie ?
- Comment a contribué la formation politique et sociale pour les deux chefs dans leurs activités politiques ?
- Quelles étaient les débuts du conflit Bourguiba et Ben Youcef ?
- Quelles étaient les raisons qui ont donné naissance à ce conflit ?
- Quelles étaient les effets et l'avenir de la Tunisie ?

Cette recherche nous a permet entre autre de répondre et satisfaire ces questions.

Pour avancer dans notre recherche, nous avons élaboré notre recherche selon un chapitre d'introduction générale et deux autres chapitres ensuite une conclusion générale.

En ce qui concerne l'introduction de notre recherche, elle est composée des éléments méthodologiques qui composent à leurs tours l'introduction générale qui commence par l'explication du thème et s'achève par une problématique structurée.

Nous avons procédé dans l'introduction générale avec les commencements des activités politiques en Tunisie et ce après l'accord de protection avec la France et nous avons conclu ce chapitre par un résumé de cet accord et de ses résultats.

Le premier chapitre a été réservé pour l'historique politique et social des deux chefs objet de notre recherche et cela avec un éclaircissement détaillé.

Le deuxième chapitre a contenu les genèses, l'évolution et les conséquences du conflit des deux hommes ainsi que l'opinion national et international de ce fait.

La conclusion générale englobe ce qu'a découlé ma recherche ainsi qu'une annexion avec des images illustratives et des documents en rapport direct avec les deux icônes tunisiens et leurs activités militantes.

مُقَدِّمَةٌ

تعرضت البلاد التونسية للظاهرة الاستعمارية الأوربية الحديثة ففرضت فرنسا حمايتها على تونس في الفترة الممتدة (1881-1956) وأخضعتها إلى اتفاقية الحماية تحت ضغط القوة العسكرية يوم 12 ماي 1881، والتي لم تلغي النظام السياسي التونسي الذي كان معمول بها آنذاك في تونس لكنها جعلته تحت تصرف المقيم العام الفرنسي، الذي جرد بايات تونس من سيادتهم عليها، ولم يترك لهم إلا سيادة رمزية فقط .

لم تقف سلطة الحماية في حدود الاستلاب السياسي والاقتصادي في تونس، بل شنت ومارست هجوما واعتداء لا يقل خطورة عن الاستلاب السياسي والاقتصادي ألا وهو استهداف الإنسان التونسي في هويته ومقوماته الشخصية، محاولا استبدالها بثقافة وتقاليد غريبة، فكان موقف المجتمع التونسي الرافض المطلق لكل هذه السياسة التي اتبعتها سلطة الحماية الفرنسية .

لقد كان رد فعل الشعب التونسي على سلطة الحماية في مرحلته الأولى بالرفض عن طريق الكفاح المسلح، وقاوم المجتمع التونسي الاستعمار الفرنسي منذ أنوطاً تأقداً أرض تونس، إذ أن كلما أقدمت الإدارة الفرنسية على تنفيذ مشروع معين إلا وقوبل بالرفض وتتلوه مقاومة شعبية عنيفة وكلما قامت هذه الإدارة بعمل إلا وجوبت بموقف مضاد ومعاكس لذلك العمل .

ولكن نظرا لعدم تكافؤ الإمكانيات العسكرية والتسليحية، أفقدت فرنسا مجهودات القادة زعماء الثورات الشعبية في تونس، فقد فشلت هذه الثورات في تحقيق آمال الشعب التونسي، ولكن أسلوب الكفاح فيما بعد تغيرت بفعل عدم التكافؤ كما تطرقنا في العدد والعدة ليتخذ في مرحلة ثانية أسلوب العمل السياسي، أو ما يعرف بالحركة الوطنية التونسية التي اعتمدت أسلوب الكفاح من خلال المناظرات والخطابات السياسية وإصدار الجرائد والمجلات والمعروفة في أدبيات الحركة الوطنية التونسية بالكفاح السياسي الذي ظهر بصورة واضحة وجليّة بعد المعركة الكونية الأولى واستمرت إلى غاية نيل تونس استقلالها الذاتي، ولكن هنا اللافت للنظر في هذه المرحلة تداخل العمل السياسي مع العمل العسكري إلى أن تتمكن تونس في الأخير من نيل استقلالها الكامل من براثن الاستعمار والحماية الفرنسية .

إن القرن العشرين عرف ظهور حركة وطنية في تونس ساهمت كثيرا في نشر الوعي السياسي في أوساط الشعب، فأيقظته من سباته الذي فرضه عليه الاستعمار، وأقلقل هذا العمل الشخصيات الفرنسية التي نظرت للظاهرة الاستعمارية وزعزعت أمن المعمرين وأفسدت عليهم أحلامهم القائلة

ببقائهم في تونس والاستفادة من خيرات، وسط هذا الظلم والاستبداد نشأة الحركة الوطنية التونسية للدفاع عن حرية وكرامة الإنسان العربي المسلم بصفة عامة والإنسان التونسي بصفة خاصة، وأخذ حقه الطبيعي في الحياة وعدالة القانون والمجتمع والاقتصاد وذلك بالدفاع عن إنسانيته واسترداد حريته وكرامته وتطهير أرضه من الغزاة والظالمين .

تناولت هذه الدراسة والموسومة ب :

«الصراع اليوسفي البورقيبي 1954- 1956».

حيث يعتبر موضوعا هاما من مواضيع الحركة الوطنية التونسية، أو ما يعرف بالصراع داخل الحزب الدستوري الحر التونسي الجديد بين شقيه والمتمثل أساسا في الشق الأول الديوان السياسي للحزب وقد ترعّمه "الحبيب بورقيبة والشق الثاني للحزب والمتمثل في الأمانة العامة والذي ترعّمه "الأستاذ صالح بن يوسف" .

سنحاول من جهتنا أن نقوم في هذه الدراسة بالتطرق إلى التكوين السياسي والاجتماعي للزعيمين، باعتبارهما من أحد أهم القادة والزعماء السياسيين في تونس وقد ترعّما اعرق حزب وطني تونسي في ظل سلطة الحماية الفرنسية وهو الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، كما سنحاول إعطاء دراسة فكرية وسياسية للجذور والأسباب التي أدت إلى الصراع بين الشخصيتين، بالإضافة إلى ذكر مراحل الصراع ونتائجه وانعكاساته على مستقبل تونس، فضلا على ذكر المصير التي واجهته الحركة اليوسفية بزعامة " صالح بن يوسف " بعد انتهاء أمر زعيمها بالاعتقال .

أسباب اختيار الموضوع :

تجمعت العديد من الأسباب لاختيار لهذا الموضوع منها ما هو شخصي ومنها ما هو موضوعي نذكر منها :

- معرفة الطرق والوسائل التي واجه بها الشعب التونسي السياسة الاستعمارية والمتمثلة في سلطة الحماية الفرنسية من قهر واضطهاد وفقير وتجويع الخ .
- لقد تكونت لدي الفكرة حول اختيار هذا الموضوع، وبدأت عند زيارتي للمكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة، وطرحت فكرت الاستفادة من دراسات الحركة الوطنية الجزائرية ونقلها إلى تونس والعكس، فمن يومها وأن شغوف بدراسة حول الحركة الوطنية التونسية أو ما يعرف

بالتطورات السياسية لتونس، وتجسدت في الأخير حول هذه الدراسة التي أدرجت تحت عنوان
﴿الصراع اليوسفي البورقيبي﴾.

- عدم وجود دراسات أكاديمية محلية وطنية في حدود اطلاعنا تناولت الموضوع بصورة مشابهة
لموضوع دراستنا .

ومهما تكن الأسباب فان موضوع الصراع داخل الحزب الدستوري التونسي الجديد التونسي
موضوع جدير بالدراسة والبحث، ويعتبر من أهم المواضيع التي يتشوق الباحث لدراستها خاصة عند
دراسة النضال السياسي التونسي، فهذا الموضوع يمثل صراع بين شخصيات والأشخاص في نظرنا
هم الجزء المهم في المجتمع، وأفكارهم مستمدة من واقعهم، لأنهم لو وقفوا عكس التيار الاجتماعي
لنبذهم مجتمعهم، كما نبذ الذين ساندوا الاستعمار وإدارته واندرجوا تحت لواء الثقافة الغربية وثقافة
المستعمر .

معظم هذه الأسباب دفعتنا إلى اختيار موضوع الدراسة والتنقيب عن هذا الصراع عسى أن
تقدم شيء جديد يضاف إلى تاريخ الامتداد العربي وحركة المقاومة من اجل التحرير .

إشكالية الدراسة :

لقد عاجلت من خلال هذه الدراسة إشكالية البحث وبعثت عن الأسس الأيديولوجية التي بني
عليها الصراع، بالإضافة إلى معرفة مجريات الصراع بين الزعيمين، ورؤية كل زعيم لمستقبل بلاده من
خلال نضال كل واحد وأفكاره السياسية، وتطيرهما للشعب التونسي وقيادته إلى الهدف الذي يترجيه
كل شخص من خلال المقاومة وهو النصر في الأخير عن سلطة الحماية الفرنسية، فكانت الإشكالية
المحورية التي دارت حولها الدراسة كالنحو التالي :

﴿ إلى أي مدى اثر الصراع داخل الحزب الدستوري الحر التونسي الجديد على مسار
النضال السياسي في تونس ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية المحورية مجموعة من التساؤلات الفرعية نذكر منها :

- ما هي الإرهاصات الأولى للعمل السياسي في تونس ؟

- كيف ساهم التكوين السياسي والاجتماعي لكلا من الزعيمين في الدخول بقوة في النشاط السياسي وترغم الحزب الدستوري الحر الجديد التونسي ؟
- كيف كانت البدايات الأولى للصراع بين الشخصيتين ؟
- ما هي جذوره والأسباب الحقيقية للصراع ؟
- ما هي مراحل و مظاهر الصراع بين الزعيمين ؟
- ما هي انعكاساته ونتائجه على مستقبل تونس ؟
- ماهو المصير الذي تلقتة الحركة اليوسفية بعد انتهاء أمر زعيمها "صالح بن يوسف" ؟

الدراسات السابقة .

إن موضوع الدراسة وعلى حد اطلاقنا في الدولة الجزائرية وذلك بزيارتي إلى العديد من المكتبات الوطنية والجامعات، والبحث في رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه ه لم أجد دراسة تتشابه لموضوع دراستي .

أما فيما يخص الدولة التونسية فهناك العديد من الدراسات تناولت الموضوع ولكن نظرا لضيق وقت الدراسة والمحدد زمنيا بثلاثة شهور ونصف، لم استطع زيارة دولة تونس، ولكن بتوفيق من الله ومساعدة بعض الزملاء استطعت التحصل على بعض المراجع من تونس الموجودة في جامعة منوبة والمكتبة الوطنية في تونس العاصمة والأرشيف الوطني التونسي .

تتطرق معظم الكتابات التي تطرقت للموضوع بصورة مباشرة إلى الصراع بشي من الشح المعلوماتي، حيث تداخلت المعلومات كلها فيما بينها، ولا حظ لأن جميع المعلومات تتكرر بنفس الطريقة، ولكنها تتغير في الصياغة وتتغير من كاتب إلى آخر، خاصة في ذكر السبب المباشر للصراع والمتعلق أساسا بالتوقيع على الاتفاقية، والمفاوضات الفرنسية التونسية فكل المصادر والمراجع تكرر نفس المعلومات ولا يوجد شيء معاكس او ينفي تلك المعلومات، حتى الشريط الوثائقي الذي تحصلت عليه والذي كان من تقديم ما يقارب 7 شخصيات تاريخية عاشوا حدث الصراع، بالإضافة إلى 6 أساتذة جامعيين تونسيين ذوي اختصاص في الحركة الوطنية التونسية يؤكدون نفس المعلومات التي ذكرت وتطرقنا إليها في الدراسة .

حدود الدراسة :

إن موضوع الدراسة الذي تطرقت له حدوده تبدأ من سنة 1953 - وتنتهي في سنة 1956. ولكن له خلفية تاريخية والتي تبدأ فترتها من انتصاب الحماية على تونس، بحيث تعتبر هذه أرضية صلبة نشأة فيها الحركة الوطنية التونسية، أوبالأحرى الأرضية التي نشأ فيها الصراع داخل الحزب الدستوري الحر التونسي الجديد، أما عن حدود الدراسة ومجالها عموماً فهي تبدأ من فترة النضال السياسي التونسي وتشكيل التنظيمات السياسية والحزبية للحركة الوطنية في تونس والتي بدأت بشكل منظم سنة 1920 إلى غاية تاريخ اغتيال "صالح بن يوسف" سنة 1961، وكانت هذه الفترة ثرية بالأحداث التاريخية السياسية والمواقف الوطنية التي اتسمت بالتشابه والتشابك والتعقيد في مسار نضال السياسيين في تونس .

مناهج الدراسة :

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة إتباع المناهج العلمية المعروفة في حقل الدراسات الأكاديمية التاريخية فكانت من بين المناهج التي اعتمدت :

- المنهج التاريخي الوصفي : وكان إتباعي في هذا المنهج عندما تطرقت إلى الحديث عن الحركة الوطنية التونسية، ووصف مختلف الأحداث التاريخية حسب تسلسلها وتأثيراتها.
- المنهج التحليلي : واستعملته في تحليل أفكار الموضوع وكذا تحليل مختلف تفاصيل وأسباب الصراع الغير مباشرة " الحقيقية " وكذلك مراحل الصراع ونتائجه وانعكاساته ، بالإضافة إلى دراسة ومناقشة الأحداث والوقائع التاريخية وربطها ببعضها البعض واستنتاج مايمكن استنتاجه منها .

وعموماً فإن المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التاريخي الذي يجمع بين الوصف والتحليل وذلك لتتبع الأحداث وتقييمها .

صعوبات الدراسة :

إن البحث في هذا الموضوع الضيق نسبيا والمتعدد الأطراف والمعارف المتداخلة و الأفكار يتطلب من الباحث أن يبذل كل ما لديه من طاقة فكرية ومادية، ويجب عليه أن يضحى بكل متطلبات حياته من أجل إنجاز هذا العمل .

ويمكن أن اذكر بعض الصعوبات التي واجهتني أثناء جمع المادة العلمية الخاصة بموضوع الدراسة :

-ضيق الفترة الزمنية المخصصة للدراسة مما افرز صعوبة كبيرة في جمع المادة العلمية في عدة جهات من الجزائر .

-نقص المصادر والمراجع التي تتحدث على الموضوع خاصة في الجزائر ومكاتبها الوطنية والجامعية .

لقد عرقلتنا العديد من الصعوبات في إنجاز هذه المذكرة كادت في الأخير أن تثني من عزمي وتجعلني أتخلى عنها نهائيا لولا الرعاية والتشجيع الذي أولاني به الأستاذ الدكتور المشرف "محمد عبد الرؤوف ثامر" والأستاذ الدكتور "محمد السعيد عقيب" على إنجاز هذا البحث العلمي لكنت قد تراجعت عن دراسته .

أهم مصادر البحث ومراجعته :

لقد اعتمدت في إنجاز هذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع الأساسية المتعلقة أساساً بأحد أطراف الصراع وهو "الحبيب بورقيبة" في كتابه "حياتي آرائي جهادي" حيث اعتمدت عليه بصورة مباشرة عند سردي وتطريقي إلى مولده ونشأته .

بالإضافة إلى المصادر الثانوية مثل "الصافي سعيد" في كتابه "بورقية سيرة شبه منحرف" وكتاب "تونس الشهيدة" لمؤلفه "عبد العزيز الثعالبي" وقد اعتمدت عليه في معرفة انعكاسات السياسة الاستعمارية على تونس .

كما إعتمدت على الكثير من المراجع أهم كتاب "الحركة الوطنية التونسية" لمؤلفه "الطاهر عبد الله" حيث استفدت منه في معرفة التيارات والتنظيمات الأساسية للحركة الوطنية التونسية وكتاب "الحركة اليوسفية 1955-1956". للدكتورة "عروسية التركي" التي تعتبر من أهم المؤرخين الذين أرحوا للحركة اليوسفية مستفيدا منه في نضال "صالح بن يوسف" السياسي وبقاة متنوعة من أهم المصادر والمراجع الأخرى والأشرطة العلمية المرئية المحكمة والصحف والمجالات المتنوعة فضلا عن المواقع الالكترونية الكثيرة .

خطة الدراسة :

أما فيما يخص عن تقسيمات الموضوع فكانت كالتالي :

مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة دراسة .

أولا : المقدمة فقد كانت تعريف علم بالموضوع وفيها عناصر المقدمة المتبعة في البحوث الأكاديمية التاريخية .

ثانيا : الفصل التمهيدي الذي أردنا من خلاله أن نضع القارئ في الأرضية العامة التي دار حولها الصراع، وتطرقنا فيه للحديث عن جغرافية البلاد التونسية، ثم إلى بداية العمل السياسي في تونس بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1882، إضافة إلى حديثنا عن بعض التنظيمات السياسية في تونس بداية من 1920 إلى 1934، وختمنا الفصل بخلاصة خاصة به تتضمن أهم النتائج والانعكاسات.

ثالثا : الفصل الأول الذي تطرقت فيه إلى الحديث عن التكوين والمسار الاجتماعي لكل من الزعيمين "الحبيب بورقية" و"صالح بن يوسف" كل شخصية على حدا وكان شيء من التفصيل في سرد الأحداث التاريخية المتعلقة بالزعيمين الشخصيتين، وتفادينا الإطناب والكثرة في الحديث عليهما من مولد ونشأة، إضافة إلى بداية انخراطهما في العمل السياسي وصولا إلى بدايات الصراع .

رابعاً : أما الفصل الثاني الذي كان المحور الأساسي في الدراسة والذي بدأته بالحديث عن جذور الصراع بين الزعيمين ثم إلى الأسباب الغير مباشرة (الحقيقية) ثم إلى السبب المباشر، ثم عرجت إلى الحديث عن مراحل الصراع بين الشخصيتين ثم نتائجه وانعكاساته على مسار النضال السياسي في تونس، وصولاً إلى مصير "صالح بن يوسف" والحركة التي أخذت اسمه في ما بعد والمصير التي واجهته بعد اغتياله، وكان هذا العنصر باقتراح من الأستاذ الدكتور "محمد السعيد عقيب" جزاه الله عنا كل خير وجعلها الله في ميزان حسناته .

حاولت بكل ما أوتيت من طاقة معرفية وعلمية تفادي كل الأخطاء التي يقع فيها الباحث حيث أن موضوع الدراسة يتضمن قضية لم يحسم الجدل ومازال الباحثون يستقصون ويقتفون اثر الصراع الذي كان حاصل داخل الحزب الدستوري الجديد .

في الأخير أن كل عمل علمي يعد ليس كاملاً ويعتبر ناقصاً ويحتاج إلى بعض الكماليات كما حرصت بدوري أن التزم الموضوعية في الكتابة التاريخية غير أن الحقيقة غاية لا تدرك معتقد أن هذا العمل سيضيف شيء جديد إلى مكتبتنا الوطنية .

نتقدم بدوري بجزيل الشكر إلى كل ما قدم لنا يد المساعدة وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور المشرف وكل أساتذة قسم التاريخ بجامعة الوادي .

الفصل التمهيدي :

الإرهاصات الأولى للعمل السياسي وتطور

الحركة الوطنية التونسية .

① جغرافية البلاد التونسية .

② بدايات العمل السياسي في تونس بعد

توقيع معاهدة الحماية 1882 .

① جغرافية البلاد التونسية

عرفت بلاد المغرب الإسلامي منذ أقدم العصور بأسماء عديدة فقد أطلق العرب الفينيقيون على السكان الذين سكنوا قرب مدنهم اسم البربر¹، فأطلقوها على جميع سكان المغرب ابتداءً من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي اشتقت اسم "افريقية"² من اسم بلاد المغرب الإسلامي. إن لفظ افريقية³ والمقصود به تونس الحالية، والتي كانت معروفة عند المسلمين منذ العهود الأولى للإسلام تمتد من طرابلس⁴ شرقاً إلى حدود مليانة⁵ وبجاية⁶ غرباً. كما سميت المغرب الأدنى وكانت عاصمتها القيروان زمن الاغالبية⁷ قبل دخول الشيعة الفاطميين. إن بعض الكتابات في التراجم والسير التي ترجمت لعلماء المغرب أوردت عدت أحاديث عن الرسول ﷺ فيما يخص المنطقة⁸.

تعتبر مدينة تونس إسلامية وقد استحدثت بعد الثمانين من هجرة الرسول ﷺ⁹.

¹ البربر: أطلقت على الأشخاص الذين كانوا يطلقون أصواتاً غير مفهومة تغلب عليها الباء والراء، وحينما يتكلمون بمعنى أنهم يبررون في كلامهم. أنظر: بن منظور، لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي، ج 1، دار الابحاث، د م ط، ط 1، 2006، ص: 356.

² عبد الواحد ذنون و خليل السامري، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2004، ص: 12.

³ تطلق على الإقليم الذي يقابل القسم الشرقي من تونس. أنظر: أبي القاسم بن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص: 64. أبي عبيد الله البكري. المغرب في ذكر افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د س ن، ص 21.

⁴ طرابلس: مدينة مغربية ساحلية وهي كثيرة البنيان وتعرف بجامعها مسجد الشعاب وبها أسواق حافلة. أنظر: ياقوت الحموي معجم البلدان، ج 4، دار صادر، بيروت، د س ط، ص: 25.

⁵ مليانة: هي من أعمال مدينة بجاية وتعتبر من المدن الكبيرة بالمغرب الإسلامي وهي كثيرة الخيرات. أنظر: ياقوت الحموي المصدر السابق، ج 3، ص: 85.

⁶ بجاية: مدينة ساحلية تقع بين افريقية والمغرب وأول من اختطها بنو زيري سنة 457 هـ. أنظر: ياقوت الحموي. المصدر السابق، ج 1، ص: 339.

⁷ الاغالبية: ينتمي الاغالبية إلى ابراهيم ابن الاغلب والي الخلافة العباسية في زمن الخليفة هارون الرشيد. أنظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط. د ت ط، ص: 287-288.

⁸ روي عن سعد بن أبي الوقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال ﴿ لا يزال أهل المغرب على الحق حتى تقوم الساعة ﴾ أنظر: أبو بكر المالكي. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادها وعبادها وسير من اخبارهم وفقهائهم وواصفاهم. تح: حسين مؤنس. ج 1، د ط. د ط، ص: 3-5. يونس بن احمد حواله، الحياة العلمية في افريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس هجري (90 - 450 هـ). ج 1، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط 1، 2000، ص: 41.

⁹ بن أبي الدينار، المؤنس أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها الحمية، تونس، ط 1، د س ط، ص 6.

الفصل التمهيدي : الإرهاصات الأولى للعمل السياسي في تونس

تقع تونس في شمال أفريقيا، وتعتبر من أصغر بلدان المغرب العربي من حيث المساحة حيث تبلغ **163.610** كلم مربع¹.

تعدّ تونس من أصغر بلدان المغرب العربي مساحة وهي عبارة عن جيب جغرافي بين الجزائر وليبيا ، وتبلغ مساحة تونس **163610** كلم مربع، ومعظم أراضيها منخفضة يحدّها البحر الأبيض المتوسط من الشمال والشرق .

تمتاز تونس بسهولة الوصول إليها برا وبحرا مما جعلها عبر تاريخها عرضة لتأثيرات خارجية لعبت دورها في تكوين خصائص مجتمعتها، ويبلغ عدد سكان تونس **07** ملايين نسمة يتكلمون اللغة العربية ولغة الفرنسية انتشار واسع للغاية، والديانة السائدة في تونس هي الإسلام الذي هو دين الغالبية من السكان².

وتمتد من الشمال إلى الجنوب، وبها مجموعتان من الجبال المجموعة الشمالية منها امتداد لجبال الأطلس التلي ويطلق عليها في تونس مرتفعات «كروميرى» وهي تنحدر إلى البحر انحدارا، والمجموعة الجنوبية تسمى النجد الغربي، وهو امتداد لجبال الأطلس الصحراء في الجزائر³. ويمتد شرقي تونس بين سوسة وصفاقس سهل خصيب مشرفا على البحر الأبيض المتوسط يعرف هناك بالساحل.

تتميز تونس بالمناخ المتوسطي في عمومها فهي بذلك في حيز منطقة البحر المتوسط ذات الشتاء الدافئ والصيف الحار⁴. كما تهب عليها الرياح التجارية الجافة في الصيف فلاتسقط الأمطار على الأجزاء العليا من السفوح الشمالية لجبال الأطلس التلي.

¹ حسن محمد جوهر . شعوب العالم تونس . د ن . دار النشر . دار المعارف . مصر . 1961 . ص ص : 95- 96 . إسماعيل احمد ياغي . تاريخ العالم العربي . د ن . مكتبة العبيكان . الرياض . ط 1 . 2000 . ص 339 . عبد الوهاب الكيالي وآخرون . موسوعة السياسة، ج 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د س ن ، د ط . ص . 815 . لجنة من الأساتذة . أطلس الزيتونة المدرسي، دار الزيتونة للإعلام والنشر —، باتنة ، الجزائر ، 2003 ، د ط ، ص : 77 .

² يحيى ابو زكرياء ، الحركة الاسلامية في تونس من الثعالي الى الغنوشي ، د د ن ، تونس ، د س ط ، ص 10 .

³ حسن جوهر ، المرجع السابق، ص 96 .

⁴ المرجع نفسه ، ص 96 .

ولدى تونس بعض المعادن فهي تعتبر ثاني أقطار العالم إنتاجا للفوسفات ويستخرج من أرضها ومن جبال الأطلس الزنك والرصاص والحديد، كما يستخرج الفحم من بعض الجزر، وتشتهر تونس بصناعات عديدة، أحرأها بالذكر صناعة الشاشية (الطربوش والسجادة والخزف ونسج الحرير والصوف ونقش النحاس والفضة¹.

② - بدايات العمل السياسي في تونس بعد توقيع معاهدة الحماية 1881.

منذ أن فتح "سنان باشا" أحد قادة الجيش العثماني في سواحل شمال إفريقيا تونس أصبحت تونس بذلك تابعة إلى السلطة العثمانية "الباب العالي" حيث ظل الحكم الأتراك يتناوبون على حكم تونس حتى نهاية القرن الثامن عشر. ولا شك أن الأوضاع الداخلية التي عاشتها تونس كان لها الأثر العميق في علاقاتها الخارجية، حيث ارتبطت تونس بالعديد من الدول الأوروبية².

إن الدول الأوروبية كانت تتصارع في ما بينها حول الظفر بتونس وكانت دائرة الصراع تدور بين روما "إيطاليا" و "فرنسا"، ولكن روما لم تجرؤ أن تخطوا خطوة حاسمة في هذا السبيل خشية أن تخلق بذلك أزمة دولية، في حين تدخلت فرنسا عند أول فرصة سانحة لها لتبسط نفوذها على هذه البلاد، إلا أنها بقيت تنظر هذه الفرصة المواتية ، حيث نشب خلاف بين الباي التونسي وإحدى الشركات التجارية الاقتصادية سنة 1881، حيث جرد الباي من سلاحه في العاصمة على يد الجيش الفرنسي بحجة أنه اجتاحت تونس بحجة تأديب إحدى القبائل البدوية التي اخترقت الحدود وقامت بأعمال شغب عدائية هناك، والحق أن الفرنسيين ابقوا على نظام الباي وذلك بإبقائه في عرشه اسميا، إلا أنهم جردوه وسلبوه من جميع السلطات الحقيقية كوالي شرعي للبلاد³.

تعتبر تونس أول تجربة في نظام الحماية التي طبقتها فرنسا في مستعمراتها، إذ أنها تقدم على استغلال اقتصاد البلاد وتدخل في شؤونها ، ويبدو أن فرنسا ارتاحت نوعا ما لهذا النظام الجديد فاتبعته بعد ذلك في العديد من المدن والمستعمرات مثل الهند الصينية مدغشقر وغيرها، وتدل الحماية على إشراف فرنسا فنيا على الإدارة الوطنية وتوجيهها دون أن تحل محلها بل إن تلك المعاهدة والمقصود بها معاهدة الحماية نصت على أن الاحتلال العسكري يكون مؤقتا⁴.

¹ حسن محمد جوهر، المرجع السابق، ص: 100 .

² بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، ج 4، 1963، ص: 25 .

³ كارل بركلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية . تر: نبيه أمين ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5، 1968 . ص: 629 - 630 .

⁴ صلاح العقاد . المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو ، المصرية القاهرة ، ط 1، د ت ط، ص: 190 .

الفصل التمهيدي : الإرهاصات الأولى للعمل السياسي في تونس

يعتبر العمل السياسي في تونس رد فعل الشعب على سيطرة سلطة الحماية الفرنسية، وكان غالبية المجتمع يرفض المستعمر، وذلك لأسباب دينية وهي حالة الدين الإسلامي في الأواسط التونسية وأسبابا اقتصادية إذ كانت فرنسا تستغل كل ما لديه علاقة بالجانب الاقتصادي من ثروات وأراضي ومعادن وغيرها وتحوله إلى صالحها وصالح المعمرين .

غير أن التعبير عن تلك المشاعر الوطنية التي يكنها التونسيون للنظام الاستعماري تكونت شيئا فشيئا، فتكونت الحركة الوطنية التونسية بدورها على أسس جديدة وهي اتخاذ العمل السياسي بدل العمل العسكري لان المقاومة الشعبية أثبتت فشلها في تونس، وبرهنت هذه الحركة على وجودها قبل الحرب العالمية الأولى (1907-1912) ثم بعدها (1919-1925)، حيث بدا الشعور الوطني والقومي يتجذر، وبلغت الحركة الوطنية أشدها منذ الثلاثينيات فدخلت أخيرا في المرحلة النهائية التي توجت بالاستقلال سنة 1956¹.

ولعل من أهم المراحل التي مرت بها الحركة الوطنية التونسية منذ الحماية و حتى تأسيس آخر تنظيم سياسي سنة 1934 نجد :

أ- المرحلة الأولى (1881-1914) :

اتسمت هذه المرحلة بانتصاب الحماية على تونس، وكان من الطبيعي رد فعل القبائل التونسية خاصة في الوسط والجنوب، وقد انضمت إليها مدينة صفاقس وقابس دون سائر المدن وكانت ثورتهم ضد نفوذ الباي، حيث كان الثوار يرددون أنه «باع بلاده للفرنسيين»². أما القيادة القدامى والرؤساء التقليديون والمقصود بهم أشرف القبائل وشيوخهم لتونس والذين كان من أبرزهم علي بن خليفة³، فقدادوا المقاومة وجندوا ورائهم الأهالي من وادي مجردة إلى التخم الجنوبية، ولكن المقاومة المسلحة لم تدم طويلا.

1 محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع، محمد الشاوش، محمد عجيبة، دارسراس للنشر، تونس . ط 3، ص ص: 110 . 111.

2 محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص : 111 .

3 علي بن خليفة : ولد سنة 1807 وتوفي سنة 1885 بالزاوية الغربية في ليبيا ويرجع نسبه إلى عرش نفات من قبيلة بني سليم النجدية المحصورة بين قابس وصفاقس ينتمي إلى عائلة شريفة، تمكن من قيادة العديد من المعارك ضد السلطة الاستعمارية اضطر إلى الرجوع إلى الأراضي الليبية المجاورة ومواصلة الجهاد إلى أن وافته المنية . انظر : محمد المرزوقي ، صراع مع الحماية، دن ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، د ط، 1983، ص ص : 185-200 . جريد الشروق .. على صفحة الانترنت . يوم : 2010 / 08/20 تاريخ الدخول : 2004 / 03 / 10 . على الساعة 14:00 . محمد فروة . المقاومة المسلحة خلال القرنين 19 وال 20، منشورات المعهد الأعلى للحركة الوطنية ، أعمال الندوة ال 7 نوفمبر ، تونس ، 1995 ، ص : 58 .

وكانت كل مؤشراتنا تشير إلى الفشل وذلك بتشتت المقاومة وقتل الكثير من الزعماء والقادة فضلا عن عدم التكافؤ في العدد والعدة بين الطرفين¹.

أما النخبة المثقفة المنحدرة من الطبقة الحاكمة قديما فقد انكبت على نوع من النقد الذاتي للمجتمع، لكي تشخص العلة التي يتخبط فيها المجتمع، فكان الشارة الأولى لعهد الإصلاح الثقافي ما قامت به الصحافة فعل لسيل المثال نجد جريدة "الحاضرة" وقد تأسست في 1888. وجريدة "الزهرة" التي تأسست سنة 1890².

إن مراكز التعليم كالمدرسة الخلدونية التي فتحت أبوابها للطلبة سنة 1896، والتي تعهدت بدورها أن تقدم لطلبة جامع الزيتونة ما يكمل ثقافتهم المعاصرة من علوم وتاريخ وجغرافيا... الخ وكل العلوم التي من شأنها أن ترقى الشباب التونسي وتدفعه قفزة نوعية للمواجهة الاستعمار الفرنسي ونظام الحماية في البلاد التونسية³.

وفي فيفري 1907 ظهرت جماعة الشباب التونسي «jeunestunisiens» إلى الوجود بإصدارها جريدة «التونسي» ومن أبرز أعلامها المحامي "علي باشا حانية"⁴.

ويمكن اعتبار "علي باشا حانية" من أنشط الأعضاء في هذه الجماعة من جميع النواحي والميادين (الاجتماعية والثقافية والسياسية.....) والتي كانت لديه فكرة تأسيس حزب "تونس الفتاة" بالرجوع إلى حزب "تركيا الفتاة" إلى جانب "عبد العزيز الثعالبي"⁵، غير أن ما لبث أن خاب أملهم لأن النظام الاستعماري لم يستجب إلى مطالبهم وتطلعاتهم⁶.

1 محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 112 .

² المرجع نفسه، ص 112

³ المرجع نفسه، ص 112 .

⁴ علي باشا حانية : يعد من أهم الشخصيات في تونس ولد سنة 1876 وهو ينتمي الى عائلة تركية له صلات وثيقة بزعماء الإصلاح في المشرق وفي سنة 1907 أسس أول حركة وطنية بقيادته والشيخ الثعالبي وهي تونس الفتاة نفي إلى تركيا لان مات هناك 1918. انظر : مدونة الدكتور إبراهيم العلاف، أستاذ التاريخ الحديث ، جامعة الموصل ، على صفحة الانترنت <http://www.allafblogspot.com.blogspot.com>، تاريخ الدخول ، 10 / 01 / 2004 ، على الساعة : 20:00.

Ali mahgoubi, les origines du mouvement en Tunisie. 1904-1934. Publications de l'université du Tunis. 1982, p.125..

⁵ عبد العزيز الثعالبي : ولد في تونس 1874 في تونس في أسر فلاح وصلاح انخرط في مبكرا في العمل السياسي وأسس مجموعة من الأحزاب منها تركيا الفتاة مع علي باشا حنة والحزب الحر التونسي والحزب الحر القديم توفي سنة 1944 . انظر : عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر : سام جندي ، . دار القدس ، لبنان ، ط 1، 1985، ص: 5. أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط4، 1992، ص : 10 - 11 .

⁶ حلمي محروس إسماعيل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية ، مؤسسة شباب الجامعة . الإسكندرية ، ج 1 . 2003 . ص : 383 .

وكان لحادث التروامواي (فيفري 1912)¹ وقعه الشديد في أواسط هذه الجماعة ما جعلها تقاطع السلطة الاستعمارية فشعرت بدورها السلطة الاستعمارية بالخطر الذي يهددها من قبل هذه الجماعة، فأقدمت على حل حركة الشباب التونسي فأختار "على باش حانية" الهجرة إلى تركيا².

ب - المرحلة الثانية: الحركة الوطنية التونسية ما بين الحربين الكونيتين.

لقد سار المجتمع التونسي بدوره بخطى ثابتة نحو تأكيد شعوره الوطني باتجاهها للتعليم في المدارس والمساجد والجوامع لإصلاح حالة أبناء البلاد.

وقد قدر للمجتمع التونسي أن يعيش فترتين حاسمتين من تاريخه:

الأولى تجربة الحزب الدستوري الذي كونه الأعيان في البداية، ومعها أول تجربة نقابية تونسية بين سنة 1920-1925 ثم الثانية التي كانت أكثر عنفوانا على المجتمع وهي تجربة الحزب الدستوري الجديدة في الثلاثينات.

فمنذ نهاية الحرب العالمية الأولى تجمعت حول عبد "العزیز الثعالی" ثلة من المثقفين من ذوي التكوين الجامعي الفرنسي، ومن خريجي الجامع الأعظم ومن أعيان تونس وكونوا "الحزب التونسي" ثم "الحزب الحر الدستوري التونسي" وقد أعلن هذا الحزب عن نفسه أمام العامة والسلطات الفرنسية في شهر مارس من سنة 1920³.

يعتبر كتاب عبد العزیز الثعالی «تونس الشهيدة» الذي نشر أوائل 1920 بباريس برنامج الحزب الدستوري، وهو بدوره يعرج إلى ما ارتكبه النظام الاستعماري والسياسة الاستعمارية في تونس من مظالم شتى وانعكاساتها على الشعب التونسي، كما يحتوي التأكيد القاطع على الوجود الفعلي لتاريخ الأمة والدولة التونسية، كما يعتبر هذا الكتاب بيان الوطنية التونسية⁴.

إن المجتمع التونسي بدأ ينفث عن الأوضاع العالمية نتيجة للحرب العالمية الأولى لأزمة التي

1 حادث التروامواي : حيث قاطع التونسيين ركوب التروامواي، بسبب سرعة العربات وموت أحد الصبية التونسيين، فضلا عن تشغيل الإيطاليين بدلا من التونسيين، وكانت قبلها أحداث الزلاخ أو مقبرة الزلاخ التي كانت عبارة عن احتجاجات قدمها التونسيين في نوفمبر 1911 بسبب عدم تسجيل مقبر الزلاخ في السجل العقاري فاندلعت مظاهرات عنيفة وقتل العديد من التونسيين في هذه الاحتجاجات . للمزيد من الاطلاع في هذه الحوادث أنظر : الجليلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي، معركة الزلاخ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1974، ص 19.

2 محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص ص : 113 . 114 .

3 المرجع نفسه، ص ص : 114 - 115 .

4 عبد العزیز الثعالی، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص: 7.

الفصل التمهيدي : الإرهاصات الأولى للعمل السياسي في تونس

ضربت العالم كله فترة ما بين الحربين والمعروفة بالأزمة الاقتصادية سنة 1929¹.

لقد كان للدستورين القدامى الفصل الكبير في إنشاء أول حزب سياسي جماهيري ، له نظامه المحكم بدءا من اللجنة التنفيذية للحزب في القمة إلى الخلايا المتفرقة بتونس وسائر المدن التونسية، وقد أظهر هذا الحزب قدرته في بعض المناسبات على تجنيد الرأي العام وعلى تنظيم مظاهرات مشهورة كتلك التي وقعت يوم 05 أفريل 1922 بتونس والمرسى مساندة للباي².

وبعد عودت علي "باشا حانية" من تركيا سنة 1924 إلى تونس بادر بإنشاء جمعيات التعاون الاقتصادي وشركات استهلاكية لصالح المجتمع التونسي ليؤسسفي الأخير نقابة تونسية مستقلة عن النقابات الفرنسية بتونس و صفاقس وقابس وقفصة و بئررت بداية من شهر أكتوبر 1924³.

وفي نهاية السنة والمقصود سنة 1924 تكونت "جامعة عموم العملة التونسيين c.g.t.t.u" بتركية من الحزب الدستوري وبمساعدة من قبل بعض أعضائه نذكر على سبيل المثال: الطاهر الحداد⁴.

لقد ابتعد المسيرون للحزب الدستوري الحر عن الجمعية النقابية بسبب التهديدات من طرف سلطة الحماية، وكي لا تضيق عليهم الخناق في الأنشطة السياسية من توعية وتعبئة المجتمع ضد الاستعمار الفرنسي لي تعرض "محمد وعلي باشا حنمة" (حانية) ورفاقه إلى أحكام قاسية آخر نوفمبر 1925، وهكذا قضى على أول تجربة نقابية في المهدي، فأخذت السلطة الاستعمارية صوت أعضاء الحزب الدستوري ووجب انتظار ظروف أخرى ورجال آخرين لتنشيط الحركة الوطنية من جديد و كان هذا بعد سنة 1930⁵.

1 الأزمة الاقتصادية العالمية : انطلقت الأزمة من بورصة وول ستريت بمدينة نيويورك يوم 24 أكتوبر 1929 بعد طرح 19 مليون سهم للبيع دفعة واحدة فأصبح العرض أكثر من الطلب فأنهارت قيمة الأسهم فعجز الرأس مالين عن تسديد ديونهم فأغلقت البنك والمؤسسات الصناعية بدافع الحفاظ على اقتصادها لم يسلم من الأزمة إلا الاتحاد السوفياتي لإتباعها النظام الاشتراكي. أنظر : مدونة الأستاذ محمد ايت ابي سو : <http://plhge.matooblog.com>، تاريخ الدخول: 10 / 01 / 2014 ، على الساعة 15:00 .

² غيلان سمير طه التكريتي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 13 ، كانون الأول، 2013، ص ص : 188 - 195 .

³ المرجع نفسه ، ص ص : 198 - 199 .

⁴ الطاهر الحداد (الطاهر الحداد)، هو من مواليد 4 ديسمبر 1899 وتوفي في 7 ديسمبر 1935 ، هو مفكر، نقابي وسياسي تونسي. وقام بحملة لتطوير المجتمع التونسي في مطلع القرن العشرين. ومن المعروف أنه خاض نشاط من أجل حقوق العمال النقابية التونسية، وتحرير المرأة التونسية ومنع تعدد الزوجات في العالم المسلم. الطاهر الحداد هو صديق للشاعر أبو القاسم الشابي والنقابي محمد علي الحامي . انظر : <http://ar.wikipedia.org/wiki/> . تاريخ الدخول : 20/05/2014. على الساعة 03.00 صباحا .

⁵ محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص ص : 118 - 119 .

تأثر الشعب التونسي بواقع الأزمة العالمية سنة 1929، كما تطرقنا سابقا، حيث ظهرت انعكاساتها على البلاد التونسية منذ سنة 1931، فانخفضت أسعار المواد الأولية (من قمح وشعير وزيت وصوف... إلخ) ومست صغار الفلاحين، وفي سنة 1930 كانت سلطات الاستعمارية تبدي تفاؤلا بإقامتها خمسينية بسط حمايتها سنة 1930، ومن جهة أخرى أعطت السلطات الفرنسية سياسة جديد تتمثل في زيادة عدد المستوطنين، إضافة إلى قضية التجنيس و أخذ الجنسية الفرنسية وهو ما جعل الوضع متفجرا داخل أواسط المجتمع التونسي¹.

اعتبر الشعب التونسي أواخر سنة 1932 كل من جنس بالجنسية الفرنسية مارقا وكافرا وليس له الحق في أن يدفن في مقابر المسلمين فتعددت في المجتمع التونسي الحوادث العنيفة كلما مات مسلم متجنس، فتدخلت الصحافة الوطنية فشنت حملة عنيفة حول مسألة التجنيس، وجعلت مستوى الحوار يرتفع إلى مناقشة بقاء الأمة أو تلاشيها وبرز رجالا همهم أن يفتحوا آفاقا جديدة للحركة الشعبية وأن يعطوا الحركة الوطنية دفعة جديدة التي أدركها الفتور منذ أواخر سنة 1925، والتي أعطتها فيما بعد أعطتها دفعة جديدة².

لقد كان للبرجوازيين الدور الكبير في إعادة إحياء النضال السياسي، وغرس أفكار ومفاهيم حديثة كمفهوم القومية حسب النمط الأوربي والتي برهنت بدورها عن جدواها في البلدان الأوربية وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الوعي القومي التونسي لم يكن واضحا في أواسط المجتمع التونسي والعامة بل كان مفهوما لدى هذه الطبقة المثقفة فقط.

أما على مستوى الجماهير الشعبية فكانت فكرة الأمة العربية الإسلامية حية في أذهانهم وكان في كثير من الأحيان مصاحبة الكفاح السياسي مع الكفاح القومي أو الوطني أو ما يطلق عليه الجهاد الديني ضد المعتدين على الإسلام وأسس ومبادئه، وهكذا امتزج في صلب الحركة الوطنية التونسية اتجاهان هما مفهوم الدولة التونسية بالمعنى الضيق، ومفهوم أوسع وهو مفهوم الأمة الإسلامية³.

و من أهم التنظيمات السياسية للحركة الوطنية التونسية 1919-1934 نذكر :

①- الحزب التونسي

تأسس في مارس 1919 من قبل مجموعة من المثقفين على رأسهم عبد العزيز الثعالبي. وكانت من بين أعماله:

¹ المرجع نفسه، ص: 119.

² المرجع نفسه ، ص: 120 .

³ محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 121 .

- المشاركة في مؤتمر الصلح¹ في باريس والمطالبة بمبدأ تقرير المصير
- تقديم مطالب لليسار الفرنسي حول تجربة الشعب التونسي في كفاحه ضد سلطة الحماية الفرنسية وذلك بمحاولة عرضها عصبة الأمم المتحدة.
- وكان لنشاط الثعالي في فرنسا تأليفه لكتاب «تونس الشهيدة»².
- وفي 05 فيفري 1920 وقع اجتماعا بين النخبة الوطنية خرج بمجموعة من المطالب مستمدة مما ورد في كتاب "تونس الشهيدة" وهي:

- 1 - تشكيل برلمان من تونسيين وفرنسيين منتخبين.
- 2 - حكومة تونسية مسؤولة أمام المجلس.
- 3 - تبوء التونسيين أعلى المراتب الإدارية.
- 4 - حرية الصحافة وتأسيس الجمعيات.
- 5 - إشراك التونسيين في شراء الأراضي الزراعية وأملاك الدولة .

②الحزب الدستوري الحر التونسي

- تأسس هذا الحزب يوم 14 مارس 1920، حيث عقد رجال الحركة الوطنية بدورهم اجتماعا تمخض عنه تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي³، وكانت من بين برامج ومطالبه :
- تأكيد المطالب السالفة الذكرى في الحزب التونسي.
 - مطالبة كل منخرط بأداء اليمين على المصحف الشريف.
 - نشر فكرة الحزب ومحاولة إدخال التونسيين فيه.
 - العمل على إمضاء العرائض للمطالبة بالدستور.
- كما تم الإعلان يوم 03 جوان من نفس السنة اجتماعا آخر كانت نتيجته:
- الإعلان عن تأسيس الحزب الحر الدستوري جهارا، وعلى الرغم من اعتدال زعماء الحزب الدستوري، إلا أن حكومة الحماية وجهت لهم تهم التآمر على أمن الدولة وإثارة الشغب في البلاد حيث أصدرت قوات الاحتلال بتونس أمرا مؤرخا في 20 جوان 1920 يقضي بتفتيش منازل

1 مؤتمر الصلح : هو مؤتمر نظم من قبل الدول المنتصر في الحرب العالمية الأولى للتباحث في أمور السلام العالمي بين الأطراف المنتصرة في الحر والأطرافالمنهزم . أنظر : ه ج ويلز ، موجز تاريخ العالم . تر ، عبد العزيز توفيق جاويد ، ملتزمة الطبع والنشر . مكتبة الإسكندرية ، 1962 ، ص ص : 262 - 263 . مدونة الأستاذ : محمد ايت أنيسو . المرجع السابق ، تاريخ الدخول : 2014/03/20 ، على الساعة : 9.00 .

2 عبد العزيز الثعالي ، المصدر السابق ، ص: 6 .

3 حمادي الساحلي ، فصول في التاريخ والحضارة ، دار النشر ، دار الغرب الإسلامي لبنان ، ط2 ، 1992 ، ص.ص: 120-123 .

زعماء الحزب في تونس وممثل "الشيخ الثعالبي" على وجه الخصوص أين وجدت نسخ من كتاب "تونس الشهيدة" وكما كبيرا من الرسائل التي كان يتبادلها "الشيخ" في باريس مع عدد من الوطنيين التونسيين في الخارج خاصة مع "محمد باش حانبة" المقيم في سويسرا. واعتقل "الشيخ" يوم 28 جويلية 1920 في باريس أين كان يقوم بجولاته الإعلامية للقضية التونسية هناك، ونقل إلى تونس يوم 22 أوت 1920 لإحالاته للمحكمة العسكرية وزج به في السجن، وأما ردود الفعل المناهضة لهذا الإجراء التعسفي اضطرت السلطات لإطلاق سراحه في 01 ماي 1921¹. يستمد نشاط هذا الحزب من كتاب "تونس الشهيدة" وتمثل في مطالب إصلاحية في جميع الميادين سياسية واجتماعية واقتصادية تهدف إلى إنزال التونسيين في تسيير شؤون بلادهم وتحقيق المساواة بين التونسيين والفرنسيين.

وكانت من بين نشاطات الحزب ما يلي:

- إرسال وفد دستوري للباي يوم 18 جوان 1920.
- تأسيس صحف جديدة مثل النديم ولسان الشعب والاتحاد وغيرها².
- المشاركة في المؤتمر الرابع للأمية الشيوعية سنة 1922 بغرض مؤازرة الحركات الوطنية³.

وكانت المواقف تجاه هذا الحزب ما يلي :

- أ/ الموقف الرسمي التونسي : حيث أيد الباي "محمد الناصر" بل أن أبنه "محمد المنصف" انخرط في صفوفه فأنتشر الحزب من أول وهلة انتشارا سريعا وواسعا.
- ب/ موقف سلطة الحماية : تمثل في تعيين مقيم عام في تونس في غاية المكر والدهاء وهو «لوسيان سان»، الذي شرع في تطبيق سياسة ذر الرماد في العيون ، وذلك من خلال تعديل المجلس الشوري الذي أصبح المجلس الكبير، كما أوجد وزارة العدل وإطلاق الحريات، فانخدع بعض رجال الحركة الوطنية فظهرت بوادر الصراع بين أعضاء الحزب الدستوري الحر كالتالي:
- الأغلبية تساند الشيخ الثعالبي ولها مطالب «تونس الشهيدة»
 - الشق الذي يسمى «المعتدل» بقيادة "حسن قلائي" الذي انخدع بعروض الإصلاح التي دعا إليها المقيم العام «لوسيانسان» باسم الحكومة الفرنسية¹.

¹ المرجع نفسه، ص: 122. 124 .

² نخبة من الأساتذة التونسيين ،تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية و دولة الاستقلال) . مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، د.ط، 2005، ص: 87 .

³ المرجع نفسه، ص: 88 .

وفي ظل هذه التطورات التي عرفتها البلاد التونسية، أقدمت سلطة الحماية على نفي "عبد العزيز الثعالبي" سنة 1923 إلى المشرق حيث عرفت الحركة الوطنية التونسية بعد نفي الشيخ حالة منالضعف والخلع والسياسي².

لقد كان لسياسة فرنسا في الثلاثينات الأثر الكبير في انقسام الحركة ونذكر على سبيل المثال من السياسة الاستعمارية في الثلاثينات مايلي:

1 انعقاد المؤتمر الأفخارستي : وكان في ماي 1930 حيث نظمت فرنسا هذا المؤتمر المسيحي

من دول أوربية عديدة في ضاحية قرطاج بدعوة إعادة تونس إلى تاريخها المسيحي الروماني وإزالة الاحتلال العربي الإسلامي فكان ذلك اعتداء صريح على المشاعر الدينية للتونسيين فوقف الشعب بكل توجهاته منددين بهذا العمل عن طريق الإضرابات والمظاهرات السلمية والحملات الصحفية والتي قابلتها السلطات الاستعمارية بحركة قمعية³.

2 الاحتفال بخمسينية الحماية:

وفي السنة الموالية احتفلت فرنسا بخمسينية الحماية، حيث كلف تلليزانية التونسية حوالي 300 مليون فرنك مما يدل على نية فرنسا البقاء في تونس، وتخللت الاحتفالات مسرحية تمثيلية لدخول الجيش الفرنسي لفرنسا لحماية، مما اعتبر استفزازا صريحا لمشاعر التونسيين ودخول الشعب في حالة غليان وتوتر⁴.

3 تجديد مشكلة التجنيس:

لقد شجعت فرنسا تجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية، وفرضت دفن المتجنسين في المقابر المسلمين، واعتبرت التونسيين ذلك محاولة من فرنسا لتغيير الهوية التونسية وإحاق تونس نهائيا بفرنسا. أثار هذا السياسة غضب التونسيين فنشرت النخبة المثقفة مقالات حاسما فضحت هذا السياسة، وبرزت بصفة خاصة «جماعة العمال التونسي»⁵.

③ تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد

¹ عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق، ص: 119.

² الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية جديدة 1830-1956)، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د، ط، د.س.ن. ص: 56.

³ نخبة من الأساتذة التونسيين، المرجع السابق، ص-ص: 85-86.

⁴ أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، تع: حمادي الساحلي الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 1، 1986، صص: 533، 534.

⁵ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 534.

لقد ساهمت جملة من الأسباب والعوامل في تأسيس الحزب بالدستور الجديد منذ كرمينها:

أ) الخلافا خلا للجنة التنفيذية للحزب بالدستور:

في خضمت شجيع سياسة الجنسية المتبعة من طرف فرنسا
مجموعة من المثقفين تعمل بجرادة «العمال التونسي» المساندة للحزب بالدستور يو على رأسهم الدكتور «المطري» و «البح
ريقية» و «محمدو الحبيبوريقية» و «الطاهر صفر» وأسسوا جريدة أسموها «العمل» وأسندت إدارتها «الحبيبوريقية».
وعقد الحزب الدستوري الحر مؤتمرا استثنائيا بنهج الجبل 12-13 ماي 1933
تم فيها انتخاب جماعة «العمال التونسي» كأعضاء في اللجنة التنفيذية مع القيادة القديمة¹.

ب) عاملا أيديولوجي «فكري و ثقافي»:

حيث انقسم الدستوريين إلى قسمين :

الأول: جيل الشيوخ الملتزم بالثقافة الإسلامية الأصلية، لأن الشيوخ خالجت
إلى فكرة إصلاح المجتمع والفكر السلفي الإسلامي.

الثاني : جيل الشباب المتطلع إلى التجديد عن طريق الاقتباس من الحضارة الغربية بسبب انبهارهم بأوروبا.

ج) المنهج أو أسلوب العمل:

- تعود الجيل القديم على طريقة الكفاح النخبوية،

التي تقو على أساسا لا احتجاجا جنب نشر المقالات المطولة وتقديم العرائض والتنديد.

- أما الجيل الجديد فيرى ضرورة تعبئة الجماهير، وإشراك القاعدة في العمل².

د) الصراع حول الزعامة:

وهو رغبة الأعضاء الجدد في الاستحواذ على الحزب،

وعزلا لجيل القديم ساهم في تكريس الخلافا حالة الانقسام.

و كانت مظاهرات المنستير في 7

1933 من مظاهر هذا الخلاف، ففي يومها دعا للقيادة القديمة وعلى رأسها «أحمد الصافي» إلى تهدئة السكان و التريث

، و كانوا قفا للقيادة الجديدة

الذين يرون ضرورة التصعيد والمواجهة وتحريك الجماهير الشعبية وعلى رأسهم «الحبيبوريقية» حيث طالبت بالمتظاهرين ونبع
دمؤتمرا استثنائيا للحزب³.

¹ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، صص: 58-61.

² المرجع نفسه، ص: 59.

³ عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص: 18.

عهد مؤتمر قصر هلالو تأسيس الحزب بالحر الدستوريا الجديد.

1934

02 مارس

عقد المؤتمر الاستثنائي للحزب بالحر الدستوري يوم

بمدينة قصر هلالو حضره نواب عدة شعب من الحزب بولكناهم ما خرج بها المؤتمر:

- حلال اللجنة التنفيذية للحزب .
 - تأسيس الحزب بالحر الدستوريا الجديد خلافا للحزب بالدستوريا التونسي القديم .
 - انتخاب مكتب مسير للحزب الجديد أسموه "الديوان السياسي برئاسة" محمود المطري" .
 - انتخاب الحبيب بورقيبة كأمين عام للحزب¹ .
- تجديد أساليب العمل السياسي لزيادة عدد الشعب وتكثيف الاتصالات المباشرة بال جماهير الشعبية للتأطيرها وإقحامها في النضال السياسي.

ومن برامج الحزب أيضا :

- إنشاء برلمان تونسي منتخب.
- تكوين حكومة مسؤولة أمام البرلمان.
- فصل السلطات التنفيذية والقضائية.
- الاعتراف بالحريات العامة للتونسيين
- إجبارية التعليم للجميع الشعب التونسي .
- حماية اقتصاد البلاد² .

وكان من بين نشاطات الحزب في الفترة 1934 – 1937:

- تأسيس جريدة العمل الناطقة بالفرنسية .
 - القيام بجولات لنشر أفكار الحزب ومؤطره³ .
- وفي هذا الجو المشحون بين القدامى والجدد كان للشيخ عبد العزيز الثعالبي مساعي للتوفيق بين الفرقتين⁴ .

المساعي لتبذله الشيخ الثعالبي في التوفيق بين الحزبين.

¹ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص : 61 .

² حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص 290

³ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص-ص: 546-547

⁴ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 64

1937 واستقبل بحفاوة كبيرة

بعد إطلاق سراح الشيخ عباد إلى تونس سنة

، واستبشر الوطنيون بمقدمة أمل في وضع حد لحالة الانقسام والفعل بالثعاليم مساعيها الحثيثة للإصلاح حول ملزمة الصنفو فوالتو في قبيل أعضاء اللجنة التنفيذية «الحزب بالدستور القديم» وأعضاء الديوان السياسي «الحزب بالدستور الجديد» ولك نذهبت مساعيها أراجال ريا حلتشبتكل

طرفهم واقفهم خاصة أعضاء الديوان السياسي، وبالأخص "الحبيب رقية" وعصبتها الذين ما طلوا في فضل توحد. فاضطر الشيخ حال الثعاليفي نهاية المطاف إلى تأييد الحزب القديم.

وعندما قام بحولة لجلسا لنبض فيا لشارعالتونسي، حال رجال الديوان السياسي بينه وبين مساعيه بكالو سائل، وسعوا لإفشال مساعيها بالتشويش عليها في العديد من المظاهر اتوا الاجتماعات¹.

¹ حمادة الساحلي، المرجع السابق، ص: 29.

الفصل الأول :

المسار السياسي والاجتماعي للحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف منذ النشأة إلى بروز الصراع .

المبحث الأول : التكوين السياسي والاجتماعي للحبيب بورقيبة من النشأة والى غاية بروز الصراع.

① الحبيب بورقيبة المولد والنشأة .

② المسار السياسي للحبيب بورقيبة من النشأة والى غاية بروز الصراع .

المبحث الثاني : المسار السياسي والاجتماعي صالح بن يوسف منذ النشأة إلى بروز الصراع .

① صالح بن يوسف المولد والنشأة .

② المسار السياسي لصالح بن يوسف من النشأة والى غاية بروز الصراع.

المبحث الأول: المسار الاجتماعي والسياسي للزعيم الحبيب بورقيبة م نذالنشأة والى

غاية بروز الصراع

① الحبيب بورقيبة المولد والنشأة

يعتبر الحبيب بورقيبة من أهم رجال الحركة الوطنية في تونس . ولد يوم 3 أوت 1903 بمدينة المنستير الساحلية¹.

تزامنت في طفولته العديد من الأحداث التاريخية، نذكر من بينها، زيادة سيطرة سلطة الحماية الفرنسية وبسط نفوذها على العديد من مناطق تونس، بالإضافة إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث ولد "الحبيب بورقيبة" في ظروف اقل ما يقال عنها عصيبة عاشتها تونس من تظلم وتجر سلطة الاستعمار الفرنسي .

في مثل هذه الظروف والأحداث ولد "الحبيب بورقيبة" وكان في وضعية اجتماعية عصيبة فقد ولد في بيت متواضع استأجره والده هروبا من المشاكل العائلية ، ولم يولد "الحبيب بورقيبة" في تلك الدار التي كانت مليئة بالمشاكل وإنما ولد بدار أخرى في حي "القرايعية" خارج أسوار مدينة المنستير والتي تبعد تقريبا عنها نصف كيلوا متر في الجهة الشمالية قرب شاطئ البحر².

ووالد "الحبيب بورقيبة" هو "علي بن الحاج محمد بورقيبة" وأمه اسمها "فطومة خفاشة" وهي تنحدر من أصولاً مازيغية³.

يتضح من خلال النسب أن جذور "الحبيب بورقيبة" ليست تونسية الأصل، وترجع اصوله إلى العائلة الطرابلسية أو الحومة الطرابلسية، كما تعرف في تونس في مدينة المنستير التونسية وبقي "بورقيبة" يبحث طوال حياته عن جذوره البعيدة، فهو لم ينكر أبدا جذوره الليبية ، فهو دائما كان

¹ الحبيب بورقيبة، حياتي آرائي جهادي ، نشریات كتابة الدولة للاعلام ، تونس ، د ط ، د س ط ، ص : 3.

عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المرجع السابق، ج 2. ص : 157.

² الصافي سعيد : بورقيبة سيرة شبه محرمة، رياض الرسي للكتب و النشر، بيروت، ب ط، 2000، ص: 32.

جريدة الرأي : "الحبيب بورقيبة..... الثار. الديكتاتور"، 23 رمضان 1430. راغب السرجاني. قصة تونس من البداية إلى

ثورة 2011، دار أقلام للنشر و التوزيع، القاهرة، ط 1، 2011، ص ص : 34-35.

³ الصافي سعيد، المصدر السابق، ص: 36.

يردد انه من أصول ليبية، وكثير من العائلات التونسية ترجع جذورها إلى قبائل ومدن ليبية منها حومة الطرابلسية بالمنستير التي أنجبت "الحبيب بورقيبة"¹.

ولكن هناك بعض الغموض حول ميلاد "الحبيب بورقيبة"، فهو نفسه يذكر انه ولد يوم 3 أوت 1903².

وفي سنة 1955 عندما تعرض لسيرته الذاتية قال ولدت في سنة 1901، ولكن عند تسجيلي في كلية الحقوق السياسية بباريس 1924 قد أخطأ كاتب الكلية وسجل بدل تاريخ ميلادي سنة 1903³.

ولكن هناك مصادر أخرى تذكر أنأخاه "محمد" حينما سجله بالمعهد الصادقي ذكر تاريخ ميلاده في 3 أوت 1903، يذكر مكان مولده في مدينة المنستير، لقد أكد الحبيب بورقيبة بنفسه أن تاريخ ميلاده غير مضبوط بدقة، لأنه في هذه الفترة لم تكن الحالة المدينة في تونس مضبوطة وبالتالي كان الاعتماد على مصادر عائلية تم الاتفاق عليها في 03 أوت 1903⁴.

كان "الحبيب بورقيبة" سادس إخوته إذ يقول "كانت الأسرة تتركب من والدي وأمي وشقيقين كانا يقيمان في العاصمة ومن أخي محمد الذي فضل ميدان التمثيل وشقيقين وأنا شخصا"⁵.

وفي سنة 1907 أرسل إلى تونس العاصمة وسجله أخوه "محمد" في المدرسة الصادقية سنة 1907، وكانت الصادقية في هذه الفترة بدأت تحيي ثمارها لتحديث وإخراج المجتمع التونسي في ذلك الوقت⁶ وكانوا يدرسون اللغة الفرنسية والعربية والتاريخ والجغرافيا، وكان التلميذ الحبيب معجبا كثيرا بالشعر الجاهلي وقد حفظ المعلقات السبع وهو في المرحلة الابتدائية⁷.

¹ فرج عبد العزيز، القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا، دار الدعوة، القاهرة. 2000، د ط، ص: 235.

² الحبيب بورقيبة، حياتي... المصدر السابق، ص: 36.

³ Pien Albin martell. Habib Bourguiba un homme une siecle. ed. francaK. 1999. P 11.

⁴ André pautard. Bourguiba. ed. media. France. 1977.

⁵ الحبيب بورقيبة، ارائي... المصدر السابق، ص ص: 4 - 5.

⁶ الصافي سعيد، المصدر السابق، ص: 38.

⁷ الحبيب بورقيبة، حياتي... المصدر السابق، ص: 24.

كان "الحبيب بورقيبة" تلميذا حيويا يحاول دائما تجاوز مشاكله من فقر وحاجة عن طريق الرغبة الشديدة في التعلم للخروج من وضعيته الاجتماعية المزرية¹.

لقد أصيب "الحبيب بورقيبة" بمرض رئوي ، بسبب البرد فدخل المستشفى سنة 1919 مما جعله يعيد السنة، بعدها خرج من المستشفى وتوجه إلى أخيها الأكبر في مدينة الكاف "محمد" وبقي في كنفه عاما وفي نهاية سنة 1921 عاد لمواصلة دراسته في الثانوية على نفقة أخيه "محمود"².

اهتم "الحبيب بورقيبة" في الثانوية بدراسة الأدب والفلسفة وكان ممتازا في الرياضيات ويحضر دروس التاريخ والجغرافيا ويتغيب عن دروس الفرنسية لا بسبب الكراهية وإنما كان يعتقد بأنه يتقنها أكثر من زملائه³.

انتقل إلى باريس لمواصلة دراسته الجامعية وذلك لأن باريس بلد الأنوار والحريات الفكرية والتعددية الجنسية منذ زمن الثورة الفرنسية ، فالدراسة هناك تتيح فرص التكوين العلمي والسياسي والأيدولوجي⁴.

ومن الذين كان لهم الأثر في حياة "الحبيب بورقيبة" هو الأديب الفرنسي (فكتور هيجو) وهو بالنسبة له ذلك الخيال اللامتناهي والشاعر الموهوب والرجل الذي يموت واقفا وبقي هذا الأديب حلم "الحبيب بورقيبة" ، حيث كانت أول هدية أهداها لابنه مجموعة مؤلفات (هيجو). لم يكن "الحبيب بورقيبة" مهتما فقط بالجانب الأكاديمي في الدراسة بباريس ، ولكنه كان مهتما بمعرفة المشاكل الاجتماعية سواء في تونس أو في فرنسا ويرى الحل في الخروج من هذه المشاكل لا عن طريق المفكرين والمنظرين لهذه المشاكل الاجتماعية ، الذين يعرفون علة هذه المشاكل وبعدها يتوصلون إلى حلول لخروج منها⁵.

3Habib bourgibaa. Ma vie mon ouvere / 1928. 1933 /. edition. plou. paris. p 11

²نشریات كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، الحبيب بورقيبة. جهاده، حياته، دار الكتب التونسية، تونس، 1966، ص : 22.

3 الصافي سعيد، المصدر السابق، ص: 46.

⁴ عادل بن يوسف، النخبة العصرية التونسية، طلبة الجامعات الفرنسية، 1880-1956، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة.

تونس، د ط، 2006. ص : 73.

⁵الصافي سعيد، المصدر السابق، ص ص : 76 - 77.

أثناء دراسته الجامعية تزوج من فرنسية والتي كان اسمها "ماتيلد لوفرا" Mathilde lefras كانت تكبره ب اثني عشرة سنة وذلك سنة 1925 وأنجب منها ولده الوحيد "الحبيب" يوم 09 افريل 1927 عاشت معه ما يقارب اثنين وعشرين سنة وطلقها وتزوج من تونسية وهي "وسيلة بن عمار" التي تحولت فيما بعد إلى أقوى شخصية في تونس بعد "بورقيبة"¹.

توفي والده سنة 1926 وحضر جنازته في المنتسب ثم عاد إلى باريس بعدها لمواصلة دراسته الجامعية هناك².

وفي سنة 1927 تحصل على شهادة ليسانس في الحقوق من جامعة السربونودبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية من المدرسة الحرة للعلوم السياسية ، ثم دخل بعدها إلى تونس حاملا معه زوجته وابنه والشهادة في القانون وهناك مارس مهنة المحاماة³.

ومن أهم الشخصيات الأخرى التي اثرت على تركيبة "بورقيبة" السياسية والاجتماعية "مصطفى كمال أتاتورك" الذي الغي الخلافة الإسلامية في تركيا عام 1924⁴.

لقد أثرت شخصية الزعيم التركي "أتاتورك" على "الحبيب بورقيبة" حيث يعتبره القائد النموذجي صاحب مهارات الزعامة وموهوب في قيادة الآخرين فروح الزعامة عند "الحبيب بورقيبة" هي القدرة على التأثير في الآخرين وسلب عقولهم إلى درجة أن يصبحون تابعين للقائد دون مناقشة أوجدال ولقد أعجب "الحبيب بورقيبة" بهذه الموصفات التي كان يتميز بها "أتاتورك" فتأثر "بورقيبة" بهذه الشخصية كثيرا في حياته⁵.

وهودون أدنى شك صادق فيما يقول بأن تأثر "أتاتورك" فقد قلده كثيرا في محاولته إبعاد الإسلام عن الحياة في التعاملات السياسية للدولة، واستبدال الثقافة الغربية خاصة التونسية، وإبعاد كل

¹قدارة الشايب، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري دراسة مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه. إشراف الأستاذ الدكتور عبد الرحيم سكفالي، ص : 140.

² الحبيب بورقيبة، حياتي... المصدر السابق، ص: 62.

³ الصافي سعيد، المصدر السابق، ص: 71.

⁴ محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية بتونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، د ط، ص: 142.

⁵ آمال موسى، بورقيبة والمسألة الدينية، دار سراس للنشر، تونس، 2006، ص : 43.

الرموز والقيم ذات العلاقة بالمقومات التونسية، والتي لها بالثقافة الإسلامية¹ وخاصة "عبد العزيز الثعالبي" والانقسام الذي حصل بين الدستوريين القدامى والجدد خير دليل عن ذلك.

أثناء الحرب العالمية الثانية حكمت تونس حكومة فيشي الموالية لألمانيا بعد سقوط فرنسا في يد الألمان سنة 1940 ومن ثم استخدمت الأراضي التونسية كميدان حربي للقوات الألمانية واليطالية ومرورا إلى الجبهة القتالية في شمال إفريقيا².

وبعد الحرب العالمية الثانية بدت واضحة محاولة "الحبيب بورقيبة" في إيجاد طريق توافقي بين الاستعمار الأوربي المسيطر والحركة الوطنية القومية، حيث القي عليه القبض ثم نفي إلى عدة مناطق. لقد نجح "الحبيب بورقيبة" زعيم الحزب الدستوري الجديد في توحيد صفوف المتعلمين ذوي الوعي السياسي مع جماهير الشعب التونسي، في حين جعل القضية التونسية تتداول في المحافل الدولية وأروقتها الأمم المتحدة³ بالنظر إلى الاعتبارات والأعمال التي قدمها بورقيبة وذلك من اجل القضية التونسية والتي سيتم التفصيل فيها لاحقا.

② نبذة عن نضال "الحبيب بورقيبة" السياسي بعد الحرب العالمية الثانية إلى غاية بروز الصراع

شهدت الساحة العربية والدولية مجموعة من المتغيرات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي مقدمتها تأسيس الجامعة العربية في شهر مارس سنة 1945، حيث قرر الزعيم "الحبيب بورقيبة" زعيم الحزب الدستوري الجديد السفر إلى القاهرة للتعريف بالقضية التونسية وفي الملحق رقم 02 نسخة من جواز سفر الحبيب بورقيبة باللغة العربية .

إن سفر "الحبيب بورقيبة" إلى المشرق كان محاولة منه إدراج القضية التونسية ضمن جدول أعمال جامعة الدول العربية بعد أن علق فيها آمالا كبيرة ، لكن سياسة الاستعمار الفرنسي في تونس لم تسمح "للحبيب بورقيبة" بممارسة نشاطه السياسي فيها فكان عليه مغادرة تونس عساها أن يحرر

¹ المرجع نفسه، ص 45.

² آمال موسى، المرجع نفسه. ص 45.

³ رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دم ط، د س ط، ص : 144.

وطنه وعن هذا يقول "ونرجع الآن إلى الحديث عن خروجي من تونس لبث الدعاية ولتوسيع نطاق الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي..."¹.

أما في ما يخص الوضع الداخلي بعد سفر "بورقيبة" إلى القاهرة ، في هذه الأثناء ظهرت قوى وطنية تونسية صاعدة أرادت أن تهيمن على الساحة الوطنية التونسية ، وهمخريجي جامع الزيتونة بقيادة "محمد الفاضل بن عاشور" الذي قاد مظاهرات 15 افريل 1945 بعد وفاة الرئيس الأمريكي "روزفلت".

كذلك أتباع "الباي المنصف" والذين يطلق عليهم المؤرخين "المنصفين" الذين تبلورت حركتهم للمطالبة بإرجاع "المنصف باي" إلى عرشه ، وقد اعتمدوا اللوائح والعرائض في حركتهم الاحتجاجية هذه، واستطاعت هذه الحركة بدورها أن تستقطب إليها التونسيين ، وكذلك حول الحزب الدستوري القديم نشاطه النضالي هو الآخر عن طريق تبني العرائض المطالبة بإرجاع "منصف باي" بايا على تونس².

أما الحزب الدستوري الجديد الذي ظهر كواجهة سياسية في التنظيمات السياسية للحركة الوطنية التونسية ، كان يطالب بعودة "المنصف باي" ، وكان موقفه من هذه القضية متبوع بنوع من الاحتشام وكأنه متخوف من تعاظم الحركة المنصفية وأتباعها وتأثيرها فيما بعد على الشعب التونسي وكان يرأس الحزب الدستوري الجديد في غياب بورقيبة "صالح بن يوسف" الذي سيأتي الحديث عنه بنوع من التفصيل في موضع آخر مع بقية أعضاء الديوان السياسي منهم "المنجي سليم" و"الهادي نويرة" وغيرهم وواصل الديوان السياسي نشاطه محاولا الحفاظ على شعبيته وتجاوز كل العراقيل التي تضعها أمامه السلطات الاستعمارية³.

¹ الحبيب بورقيبة، حياتي... المصدر السابق، ص : 151.

² خالد عبيد، الاستعداد للمواجهة الحاسمة 1945-1956، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، د ط، تونس ، د ت ط، ص :

125.

³ خالد عبيد، المرجع السابق، ص ص : 126 - 127.

لقد كان سبب سفر "بورقية" إلى القاهرة هو جلب اهتمام جامعة الدول العربية للقضية التونسية وكذلك اتخاذها قاعدة للانطلاق نحو البلدان الأجنبية التي يأمل فيها "بورقية" أن تقف إلى جانب القضية التونسية لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي يوجد بها مقر هيئة الأمم المتحدة لكنه بقي سنة كاملة تقريبا معزولا وعن ذلك يقول "...وبقيت بالقاهرة سنة كاملة من 1945 الى 1946 اعمل من اجل القضية الوطنية وفتحت مكتب للحزب ووجدت هناك السيد الشاذلي مكي من حزب الشعب الجزائري وثلة من طلبة المغرب الأقصى..."¹.

لقد عقد الحبيب بورقية العزم على السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكان له ذلك في يوم 2 ديسمبر 1946 بغرض التعريف بالقضية التونسية وتدويلها في هيئة الأمم المتحدة، وهذا الخبر ولد أملا كبيرا لدى الوطنيين التونسيين بقرب تدويل قضية وطنهم ذلك بفضل التأييد العربي². دعم الحبيب بورقية زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية ببرقية وصلته من صالح بن يوسف باسم الحزب في أواخر ديسمبر 1946 يفوضه بالتحدث باسم تونس لان بن يوسف في هذه المرحلة كان المفوض والمتحدث الأول باسم تونس ، وذلك حول إمكانية تدويل القضية التونسية في المحافل الدولية، ولم يكتف فقط بهذا التفويض الحزبي بل زاده الباي المنصف من منفاه في "بو" جنوب فرنسا تفويضا آخر للتحدث باسمه باسم الشعب التونسي³.

كان لرحلة الحبيب بورقية أبعادا سياسية ، فقد تمكن من تعريف الرأي العام الأمريكي بالقضية التونسية ولكنه لم يستطع إدراجها في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة مع أنماحيث بعطف عدة أواسط سياسية في أمريكا والأمم المتحدة⁴.

عاد بعدها إلى القاهرة وبعودته شارك في تكوين مكتب المغرب العربي والذي كان مشكلا من مكتب الحزب الحر الدستوري، ورابطت الدفاع عن مراكش واجهت حزب الاستقلال المغربي بمصر ،

¹ الحبيب بورقية، حياتي...المصدر السابق، ص : 164.

² عز الدين معز ،فرحات عباس والحبيب بورقية دراسة فكرية مقارنة ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف الأستاذ الدكتور : عبد الكريم بوصفصاف ، 2009-2010. ص : 149 .

³ خالد عبيد،المصدر السابق، ص ص : 134 - 135.

⁴ احمد القصاب،المرجع السابق، ص ص : 607 - 608.

مكتب حزب الشعب الجزائري بمصر أسندت الرئاسة إلى الأمير "محمد عبد الكريم الخطابي" وأمانته إلى "الحبيب بورقيبة" وكان بطل الريف والمقصود به الأمير "عبد الكريم الخطابي" الدكتور "الحبيب بلفور" و "يوسف الرويسي" والممثلون عن الحركة الوطنية الجزائرية قد قرروا خطة تتمثل في الآتي:

1— جلب أكثر عدد ممكن من الطلبة من كافة أقطار المغرب العربي وإلحاقهم بالكليات العسكرية بالقاهرة، دمشق وبغداد ليكونوا النواة الأولى لجيش تحرير البلدان المغاربية.

2— تهيئة قيام ثورة مسلحة تبتدئ من حدود ليبيا إلى أغادير والصحراء المغربية.

3— توحيد المغرب العربي عن طريق الكفاح المسلح وخلق الدولة الواحدة المستقلة.

4— جلب طلاب من المغرب العربي وتوزيعهم على المعاهد والكليات والجامعات لتكوين الإطارات اللازمة لتعريب الإدارة والتعليم في المغرب العربي¹.

وفي هذه الأثناء أصبح الوطنيون التونسيون، خاصة جماعة الدستور الجديد في مصر وفي تونس على حد السواء يعتقدون أميل أن سنة 1947 سنة تدويل القضية التونسية، ومن الطبيعي أن يزداد الأمل لدى أواسط التونسيين في قرب انفراجهم من براثن الاستعمار وذلك بفعل دعم إخوانهم العرب فحرصوا بدورهم حرصا لا متناهيا على الاحتفال بذكرى تأسيس جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1947 واعتبروا هذا اليوم يوم العرب أوعيد العروبة . كما حرص التونسيون حرصا شديدا على تطبيق قرارات مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة².

إن العلاقة التي كانت تجمع بين أعضاء لجنة تحرير المغرب العربي، قد نشأت بين "الحبيب بورقيبة" من جهة وبين كل من الدكتور "الحبيب ثامر" و"عبد الكريم الخطابي" ووصلت الخلافات إلى حد القطيعة بينهم وبين "الحبيب بورقيبة" وذلك بسبب الاتصالات التي كان يجريها مع أعضاء السفارة الفرنسية بالقاهرة ولما عرفوا باتصالاته عزلوه من الأمانة العامة للحزب ووضعوا بدلا منه "علال

¹ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص: 72 - 73.

² الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص: 73.

الفاسي" رئيس حزب الاستقلالالمغربي وأصبح "عبد الكريم الخطابي " يتهم "بورقية" علنا بالتواطؤ والانحراف مع الفرنسيين ضد حركة التحرير المغربية ووصلت حدة الخلاف بينه وبين"الحبيب ثامر" إلى درجة أن قال"اني اخشى على تونس من الاستعمار الفرنسي واستعمار بورقية بعد الاستقلال..."¹.
لم يسلم "الحبيب بورقية" من اتهامات زملائه من الدستوريين الجدد سواء في القاهرة أو في تونس.

وقد رأى ذلك ظلما له وتجاوزا لنضاله من اجل القضية التونسية حيث يقول عن هذه المشكلة"جاء في بواب مكتب المغرب العربي برسالة مرقونة بالعربية من الدكتور "الحبيب ثامر" يقول لي فيها إن الديوان السياسي كما اعرف قد كف يدي عن المسائل المادية للحزب والمكتب لأسباب يطول شرحها فقلت: عجباً لم يعد لي الحق في أنأقول رأيي في الأمور المالية الست الذي أتى بكم من المنفى بجوازات سفر عراقية؟ وجئت إلى القاهرة للجهاد من اجل بلادي وطفة بمختلف أنحاء العالم داعيا لقضيتها ... والمقصود بها تونس"².

وأما من داخل تونس فعلى حسب بعض الكتابات التاريخية التي أرخت للحركة الوطنية التونسية و آداياتها، انه كانت تأتيه رسائل الى القاهرة تخبره بان "صالح بن يوسف" و"المنجي سليم" يحاولان أبعاده من رئاسة الحزب الدستوري الجديد ،ومن هنا تبدأ بوادر الصراع تطفو في الأفق وتظهر للأعيان بين الزعيمين "صالح بن يوسف" و"الحبيب بورقية" وقد عمل "صالح بن يوسف" على تنظيم الحزب داخل تونس تنظيمًا محكمًا وكون له فروعًا ونظم وأنشأ مجموعة من النقابات نذكر منها:
نقابة للفلاحين تحت اسم"الاتحاد العام للفلاحة بتونس" ونقابة "التجار والحرفيين" و"اتحاد العمال" ونقابة الموظفين التي أصبحت تعرف فيما بعد بـ"الاتحاد العام التونسي للشغل" والهدف من ذلك تنظيم كل الطاقات الحية في تونس لخدمة القضية الوطنية وكانت في الطرف الآخر عناصر حزبية من أنصار"الحبيب بورقية" منهم "الهادي نويرة" و"محمد شرشور" و "الشاذلي قلاله" يعملون على دعم

¹ الحبيب ثامر، هذه هي تونس، مطبعة الرسالة، مطبعة المغرب العربي، دم ط. د ط، د س ط. ص ص : 98-111.

² الحبيب بورقية، حياتي... المصدر السابق، ص : 170.

"الحبيب بورقيبة" في القاهرة فما كان من "المنجي سليم" الا أنأقصى "الشاذلي قلاله" و"محمود شرشور" من المجلس المركزي للحزب¹

لقد أثبتتالأحداث التاريخية التي شهدتها تونس فيما بعد بان لا "المنجي سليم" ولا "صالح بن يوسف" كان يفكر في عزل "الحبيب بورقيبة" عن رئاسة الحزب ، لأن الظروف التي كانت تمر بها تونس والحركة الوطنية لا تسمح بحدوث مثل هذا التصدع والانشقاق للحزبالدستوري الجديد. حتى وإن كان الصراع قد بدأ في الظهور ولكن ليس في هذه الفترة بالذات خاصة أن تونس دخلت في مرحلة حرجة من الكفاح في ساحة المغرب العربي والذي كان يتطلب رص الصفوف وتجنيد الجيوش وتسخير الطاقات وتجاوز الخلافات الشخصية حتى لا يتفطن الاستعمار الفرنسي لهذه الخلافات والتزاعات ويستفيد منها².

لم تكن نية "الحبيب بورقيبة" طيبة تجاه "صالح بن يوسف" والدكتور "الحبيب ثامر" وهنا دخل الصراع بين الطرفين في مرحلة المد والجزر واعتقد "الحبيب بورقيبة" أنهما يحاولان إقصاؤه من رئاسة الحزب وعن ذلك يقول "الحبيب بورقيبة" لكن "صالح بن يوسف" لما عاد نظم مؤتمر "دار سليم" مؤتمر الخيانة والغدر والنفاق كما وصفه بورقيبة وكون ديوان سياسي آخر ادخل فيه "يوسف الروسي" الذي كان في دمشق ويعرف "صالح بن يوسف" انه ضدي كما ادخل فيه الدكتور "الحبيب ثامر" الذي عين أمين مال الديوان السياسين ،وكما كانت بين هذه الجماعات قرابة عائلية فقد وقع تصرف شخصي في مال الحزب لا علاقة له بم صاريف الحزبية القانونية ،أماأنا سحب مني كل النفوذ واعتبرت خارج دائرة ذوي الحل والعقد في الحزب والسبب في كل هذه الوقائع أن الجماعة كانت متضايقة من وجودي في تونس فخيّل إليهمأنهم تخلصوا مني لما أقمت بالقاهرة³.

فضل "الحبيب بورقيبة" الرجوع إلى تونس بعد فشل مساعيه في دعم القضية التونسية من طرف جامعة الدول العربية ، وذلك لأن الجامعة جعلت من القضية الفلسطينية من أولوياتها. ولم يكن هذا السبب وحده كاف لرجوعه إلى تونس بل هناك سبب آخر دفعه أيضا إلى العودة وهو "صالح بن

¹ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 74 – 75.

² المرجع نفسه، ص. 74 – 75.

³ الحبيب بورقيبة، حياتي...المصدر السابق، ص: 170.

يوسف "و" المنجي سليم "الإبعاد من موقع القرار الحزبي بتهميشه والعمل على إبقاءه في مصر قدر الإمكان وقد تجلّى هذا الإبعاد في المؤتمر المنعقد للحزب الدستوري الجديد بتونس في أوت 1945 حيث طلب "صالح بن يوسف " وجماعته إلى ضرورة محاكمة "بورقيبة" إن لزم الأمر، بالإضافة إلى أن "الحبيب بورقيبة "تأكد أن القضية التونسية لم يحن تدويلها في هيئة الأمم المتحدة، خاصة في ظل الحرب الباردة وإفرازاتها وانعكاساتها السلبية على قضية المغرب العربي بالإضافة إلى أن الحبيب بورقيبة لا يمكنه الاعتماد على الولايات المتحدة حليفة فرنسا وشريكها في الحلف الأطلسي¹.

قبل وصول "الحبيب بورقيبة" إلى تونس أرسل برقية اعلم فيها قادة الحزب برجوعهم إلى تونس حيث يقول " أرسلت برقية اعلم فيها بأنني سأصل مطار العونية (تونس قرطاج الآن) في الساعة الرابعة عشية يوم الخميس وفي تونس جن جنون جماعة "صالح بن يوسف" ففزعوا مما سيكون. فقد قرأوا كل أمر حسا به إلا أمر عودتي إلى تونس ،وقال قائلهم في محاولة لتأليب الرأي العام ضد عودتي أن قدومي سيحجر الحزب إلى الاصطدام من جديد بفرنسا وما سيترب عن ذلك من مشاكل وسجن ونفي وبلاء².

وصل "الحبيب بورقيبة" إلى تونس واستقبل بمطار العونية ،حيث استقبل استقبالاً لأبطال وعودته إلى تونس استطاع الحزب الدستوري الجديد أن يجمع شتات نفسه من جديد ويهيمن على الحياة السياسية في تونس استعدادا للمعركة الحاسمة³.

إن الرحلات التي قام بها "الحبيب بورقيبة" وأورثته العديد من الحكم والتجارب حيث عاد إلى تونس وهو في سن 49 وجمع الكثير من الثقافات الغربية والمناورات التي كانت يهتم عملها في فرنسا و تونس⁴.

¹ خالد عبيد، المصدر السابق، ص: 144.

² الحبيب بورقيبة، حياتي.... المصدر السابق، ص ص: 171 – 172.

³ محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص: 13.

⁴ الصافي سعيد، المصدر السابق، ص: 154.

وفي حينه انطلق في العمل السياسي والاتصال المباشر بال جماهير وجمع مناظر ي الحزب الدستوري الجديد داعيا إياهم إلى ضرورة الاتفاق والاستعداد الى الجولة الحاسمة في الدفاع عن القضية التونسية، وقد طالب من جميع القوى الحية في تونس بضرورة الاستعداد للكفاح مثل الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والاتحاد العام للمزارعين التونسيين والاتحاد النسائي التونسي وجمعية قداماء المحاربين التونسيين والشبيبة الدستورية¹، واتبع "الحبيب بورقيبة" مع فرنسا سياسة المهادنة تحضيراً لفترة الهيحان الشعبي والذي سيمكن الشعب التونسي في الأخير من تدويل قضيتهم.

وهنا نلاحظ أن "الحبيب بورقيبة" قد لجأ إلى سياسة المهادنة مع سلطة الحماية الفرنسية التي عابها كثيرا "صالح بن يوسف"، وهذا كان محور الصراع بين الشخصيتين، ولكن الخلاف بينهما بدأ يتسع يوما بعد يوم وكان "صالح بن يوسف" يخسر يوما أتباعا بينما كان "الحبيب بورقيبة" يكسب أتباعا بفضل حنكته وخطاباته السياسية المؤثرة في قلوب التونسيين، وذلك بإقناعهم بضرورة السلم وعدم حمل السلاح والمجابهة مع الاستعمار الفرنسي، لأن الشعب التونسي غير قادر بالإمكانات المتاحة له على مجابهة قوة الحماية الفرنسية².

كما عمل "الحبيب بورقيبة" على تعبئة الحزب حول القضية الوطنية التونسية³ حيث يقول "رجعت إلى تونس مقرا العزم على استرجاع قيادة الشعب..."⁴.

إن المتتبع للمسار السياسي "للحبيب بورقيبة" و"الحزب الدستوري الجديد" يلاحظ انه قد تحلى عن مرجعيات مؤتمر ليلة القدر سنة 1946 ومؤتمر المغرب العربي بالقاهرة سنة 1946 ولجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة سنة 1948 التي كان "الحبيب بورقيبة" أمينا عاما لها حيث تمكن الحبيب بورقيبة في ظرف وجيز إبعاد معارضيهم منهم: "سليمان بن سليمان" الذي طرده من الحزب نهائيا سنة

¹ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص: 609 .

² الصافي سعيد، المصدر السابق، ص 156

³ خالد عبيد، المصدر السابق، ص: 145.

⁴ الحبيب بورقيبة، حياتي... المصدر السابق، ص : 176.

1950، كما افشل التحالف الذي تم بين عضوا لليونان السياسي "يوسف الروسي" وحسين التريكو والغاربة في مصر بداية من جانفي 1950¹.

وأثناء عودة "الحبيب بورقيبة" من فرنسا نحو تونس يوم 03 أوت 1950 في ما يخص مسألة التفاوض مع فرنسا حيث صرح قائلا: "كنت مقتنعا بان مسألة التفاوض لن تأتي بالثمرة المرجوة ، لكنني اغتنمت فرصة لربح الوقت فالقضية أصبحت تتطلب تطويروا منا ضلينا إعداد عدة من الرشايات والذخيرة واقتحام الأخطار والاستعداد للاستشهاد"².

لقد توصل "الحبيب بورقيبة" إلى قناة مفادها أن المفاوضات هي التي تنجو بالقضية التونسية وتوصلها صوب الاستقلال، لكنه كان متأكدا في نفسه أن أسلوب اللين لن يأتي بثمار لكنه سلك ذلك الطريق أملا أن تحرر بلاده بأقل خسائر عن طريق التفاوض مستعملا في ذلك ضغط الرأي العام التونسي أو الفرنسي أو العالمي ، ولذلك قام الحبيب بورقيبة بجولة إلى العديد من الدول العربية والأوروبية حيث يقول عن جولاته: " بعد جولتي في أنحاء البلاد قررت القيام بجولة أخرى في العالم.... وشرعت أتجول في العالم فقصدت مصر وباكستان والهند واستقبلني العديد من الشخصيات التاريخية وألقيت خطابات في مجلس الأمة الإندونيسي.... ثم سافرت إلى إنجلترا وهناك زرت السفير الفرنسي وقلت له: إننا لا نطلب إلا ما وعدنا به الفرنسيون وأن الوزير الذي قطع على نفسه هذا العهد باسم فرنسا لا يزال وزيرا للخارجية وأن الحكم الذاتي الذي نريده سندركه. ومررت بروما حيث تقابلت مع "أحمد التليلي" و"فرحات حشاد" وغيرهما وقد جاؤ لحضور مؤتمر النقابات العربية ويوم 17 سبتمبر 1951 ذهبت إلى مدينة سان فرانسيسكو"³.

وهنا نلاحظ بداية تبلور فكرة "بورقيبة" السياسية التي ظهرت فيما بعد وعرفت في تاريخ النضال التونسي بـ سياسة " خذ وطالب " ذلك أن قيام "الحبيب بورقيبة" بهذه الرحلات خارج تونس كان الهدف منها جني المزيد من التعاطف الدولي مع القضية التونسية ، والضغط على فرنسا

¹ خالد عبيد، المرجع السابق، ص ص: 147 – 148.

² الحبيب بورقيبة، حيا... المصدر السابق، ص : 176.

³ الحبيب بورقيبة، حيا... المصدر السابق، ص ص: 177 – 178.

نتيجة إصرار الفرنسيين على التمسك بحكم النظام المباشر في تونس ، ولقد قدم له في الرياض "الملك السعودي عبد العزيز" نصيحة مفادها عدم مهاجمة فرنسا عن طريق معركة تقليدية ومنظمة ناصحا إياها باتباع أسلوب حرب العصابات لأنه لو اتبع الأولى فإنها معركة خاسرة لا محالة ، أما الثانية تجبر وتدفع فرنسا إلى التفاوض فإذا قبل بها الفرنسيون عليكم أن تستحيو¹ لهم لأنهم جيرانكم وسيساعدونكم على التقدم والحضارة، واخذ من فرنسا ما هو ايجابي ومتطور ومنحه "الملك السعودي" كمية من المال استغلها "بورقية" في فتح مركز للتدريب العسكري في ليبيا ، وبعد مقتل الزعيم النقابي التونسي "فرحات حشاد"¹ في جانفي 1952 تسللت أول مجموعة من المجاهدين التونسيين عبرة الحدود الليبية لخوض أول معركة تحريرية في تونس².

لقد تصادم أعضاء الحزب الدستوري الجديد مع أعضاء الدستور القديم ، وانتقدوا الآخرين المنهج الذي اتبعه "بورقية" ووصفوه بالاستسلامي خاصة إصلاحات 08 فيفري 1951، التي تعتبر من قبيل سياسة "ذر الرماد في العيون" فبرزت جريدة ناطقة باللغة الفرنسية تابعة للحزب الدستوري القديم بعنوان "الاستقلال" وصدر بيان يوم 16 فيفري 1951 أمضاه 58 مثقف تونسي، رخصوا فيه بعدم قبول هذه الإصلاحات الوهمية ورافضين فيه تمام الرفض المنهج¹ اللين والمتخاذل نوعا ما الذي تبناه الحزب الدستوري الجديد حيث اضطرت قيادة الحزب الدستوري الجديد إلى القيام بجولات داخل تونس، والتأكيد على تمسكها بالثوابت الوطنية وأصدرت قيادات الحزب الجديد بيان دعت فيه إلى ضرورة التمسك باستقلال تونس ووحدت ترابها وأيد "عبد الكريم الخطابي" هذا العمل

¹ فرحات حشاد: هو نقابي تونسي 1914-1952 منازل وزعيم وطني، فضل العمل النقابي من خلال الحزب الدستوري الجديد وتمكن من تأسيس نقابة تونسية هي الاتحاد العام التونسي للشغل قتل على يد المنظمة الخاصة السرية للجيش الفرنسي والتي كانت تسمى اليد الحمراء واغتيل على يد هذه المنظمة سنة 1952 . أنظر : مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج 7 . مؤسسة هاليد .

بيروت، لبنان ، د ط ، د ت ط ، ص ص : 143-144. علي البلهوان، تونس الثائرة ، د ط ، د م ط ، د ط ، د ت ط ، ص ص : 418-466 .

² الصافي سعيد، المصدر السابق، ص ص : 161-162.

ورأى انه يندرج تحتاستقلال الشعب التونسي ودعم التضامن المخاربي¹.

عقد الحزب الدستوري الجديد برئاسة "الحبيب بورقيبة" يوم 8 جانفي 1952 اجتماعا في مدينة المنستير وتكلم فيه عن خيارات أخرى دون أن يوضحها وقد فهم الناس الحاضر بني لهذا الاجتماع انه يقصد الثورة المسلحة².

وفي 13 جانفي 1952 خطب "الحبيب بورقيبة" في مدينة بئررت معلنا عن ضرورة التضحية والفداء والجهاد³.

إن غلق أبواب المفاوضات أمام "الحبيب بورقيبة" جعلته متهما في الشارع التونسي والرأي العام وأصبح بدوره متهاونا ومتساهلا مع فرنسا ، كل هذه الأسباب جعلت "الحبيب بورقيبة" يضطر إلى اللجوء لأسلوب العنف الذي رفضه مرارا وتكرارا ، ولكن عندما فشلت سياسة اللين اضطر الزعيم التونسي "الحبيب بورقيبة" إلى الدعوة والانضمام إلى الكفاح المسلح.

المبحث الثاني : المسار السياسي والاجتماعي لزعيم صالح بن يوسف من البداية الى

غاية بروز الصراع .

① صالح بن يوسف المولد والنشأة.

ولد "صالح بن يوسف" في 11 أكتوبر 1907 في منزل "بن يوسف" بمغارة ، وهي قرية تبعد أربعة كيلومترات عن مدينة ميدون شرق مدينة جربة ، وتقع مغارة على مرتفع يطل الشخص منه على سهل جربة وبساتينها ومزارعها الجميلة.

كانت عائلة "صالح بن يوسف" تتمتع بصمعة عالتقي وطيبة في جزيرة جربة ، واهتمت أجيالها بتطوير أعمالها التجارية وممتلكاتها العقارية⁴.

¹ خالد عبيد، المرجع السابق، ص ص : 150. 151.

² الصافي سعيد، المصدر السابق، ص : 165.

³ خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص : 125.

⁴ منصف الشابي، صالح بن يوسف حياة كفاح، دار نقوش عربية. تونس، د ط، د س ط، ص : 17.

يختلف المؤرخون في ولادته ومنهم الدكتور "عروسيه التركية" المتخصصة في "الحركة اليوسفية" ترى أن ولادته حسب المصادر والأرشيف الفرنسي انه عثر على تاريخ ولادته في 16 مارس 1909¹.

كان يتميز "صالح بن يوسف" عن "الحبيب بورقيبة" انه نشأ في أسرة غنية تمتن التجارة وتعتبر عائلته من أعيان مدينة جربة التونسية².

كان أبوه تاجر جملة في المواد الغذائية والمواد العطرية وكان أخوه من شيوخ جامع الزيتونة الشيء الذي جعله يلتحق مبكرا بالعاصمة وذلك لإتمام تعليمه في المدرسة التقليدية وفي الكتاب³.
نشا "صالح بن يوسف" في وسط عائلة غنية تمتلك المزارع والدكاكين ورؤوس الأموال الكبيرة. تعلم "بن يوسف" القرآن الكريم في جامع "حاضر باش" كما تعلم هناك مبادئ القراءة والكتابة الأولى، وفي سنة 1915 قرر جده إرساله إلى تونس العاصمة رفقة أخيه "البشير" لمزاولة تعليمهما العصري في مدارس العاصمة التونسية. فالتحق "بن يوسف" بالمدرسة الابتدائية في ساحة "ترينال" وحصل منها على شهادة إنهاء المرحلة الابتدائية سنة 1922⁴.

يرى "عمار الروفي" أحد مؤرخي الحركة الوطنية التونسية أن أبويه حرصا أن يعلماه تعليما عصريا، وان يحافظ عن هويته الوطنية، فنشا بن يوسف منشأ متوازيا يجمع بين الهوية والحداثة⁵. لا يهمل بدوره الجانب الحداثي وكل ما هو جديد، وهو متأصل في جذوره بالرجوع إلى الهوية الوطنية. وتشير بعض المصادر التاريخية أن "صالح بن يوسف" كان يشده الحنين إلى مدينة جربة، ولكن المرافات البعيدة كانت تمنعه من العودة، ولم يتيسر له ذلك سوى مرة واحدة وكان ذلك في صائفة 1925 لما رافقه شقيقه "البشير" صحبة "السيد عبد العزيز الغربي" أحد أصدقاء والده. ويذكر السيد

¹ عروسيه التركي، صالح بن يوسف جريمة دولة، شريط وثائقي بثته قناة الجزيرة الوثائقية. جوان : 2012.

² عميرة عليه وعمار السوفي، صالح بن يوسف جريمة دولة، نفسه.

³ عميرة عليه و عدنان منصر، صالح بن يوسف جريمة دولة، نفسه.

⁴ منصف الشابي، المرجع السابق، ص : 17.

⁵ عمار السوفي، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق . جوان 2012.

"البشير بن يوسف "أناخيه"صالح" كان ولوعا بركوب البغال ، فكثيرا ما كان يمتطيها لزيارة ميدونأوحتى حومة السوق التي كانت تبعد 24 كيلومترات عن منزل "صالح بن يوسف".

كما كان "بن يوسف " شغوفاً بمعرفة العادات والتقاليد فكان كثير السؤال والإلحاح تجاه المتقدمين في السن لمعرفة أدق التفاصيل، وكانت عودته إلى تونس في آخر الصيف على متن " التريستي" والذي هو بمثابة زورق شرعي إلى حدود صفاقس ثم يأخذ القطار "الاكسبريس" ¹.

لقد وصف الوسط الذي عاش فيه "صالح بن يوسف" انه وسط ممتع على رواية شقيقه السيد "البشير بن يوسف".

واصل تعليمه في الثانوية في " ليسبي كارهو" دون أي رسوب بل بالتفوق في بعض الأحيان، فنال شهادة البكالوريا سنة 1929، وفي تلك الأثناء وقبل مغادرته ارض الوطن لمواصلة تعليمه على مقاعد جامعة"السرهن" في باريس، حيث تحصل على تكليف الدراسة بمعية أخيه "البشير" في إدارة إحدى المخازن السلع التابعة ل والده "بالقرانة" وذلك لغرض الاستعانة بها وتعويدهما على تحمل المسؤولية منذ الصغر .

فتقاسما فترة العمل الصيفية في سنة 1929 هو وأخيه فترة بفترة وعملا بنجاح وحصولا على أرباح كثيرة ومعتبرة ومصرف جيب محترم للغاية وكانا يعملان بهذه الطريقة في كل صائفة عام ².

نمى وعيه الوطني منذ الصغر، إذ كان والده يحدثه عن تسلط الاستعمار الفرنسي وكيفية دخوله إلىالأراضي التونسية، واعتدائه على شعبها وتنميته مصالح الجالية الفرنسية ومصالحها على حساب أهل البلد، وقد حدثه في مناسبات عديدة عن الصدمات الدامية التي رافقت انتصاب الحماية على تونس والمقاومة البطولية التي قدمها أهلها وخاصة سكان المدن والفقري، ولكن الغلبة كانت في النهاية لصالح سلطة الحماية المتمثلة في فرنسا فضاعفت قوتها وزادت من ثرواتها على حساب المدن التونسية ³.

¹ منصف الشابي، المرجع السابق، ص ص : 19 - 20.

² منصف الشابي، المرجع السابق، ص ص : 20 - 21.

³ المرجع نفسه، ص : 21.

هكذا كان يحدثه والده وهو يصغي إليه بانتباه فتهيج مشاعره وتمتلئ عيناه دموعا ويذهب فكره إلى الماضي ليعود إلى وضع اللبنات للعمل الوطني.

لقد كان لدى "صالح بن يوسف" شعور بالواجب تجاه الإسلام والمسلمين، وكان يتناقش مع أترابه من رفقاءه في الدرب الدراسي، خاصة بعد تخرجه من الثانوية حاملا شهادة البكالوريا، فكانت النقاشات تطول بينهم في بيت والده لما يلحظونه في حياة الشعب التونسي اليومية الأليمة من عناء ومشقة وبؤس.

وكان يتابع بدقة شديدة لا متناهية عن ما يصدر عن الحزب الدستوري من بيانات وعن أقطابه من مقالات في الصحف لكنه لم ينتمي إلى ذلك الحزب إلا في سنة 1930¹. ففي تلك الفترة عقد المؤتمر الافخارستي " **congrès eucharistique** " في قرطاج وهو المؤتمر الأعلى للكنيسة المسيحية، كما احتفلت فرنسا في نفس السنة بمرور قرن كامل على احتلال الجزائر، تلك الاحتفالات التي تألم بها الشعب التونسي تألما شديدا وندد بعض الرموز من السياسيين والمثقفين بهذه الأعمال الشنيعة التي ارتكبتها فرنسا في الأراضي الإسلامية.

اعتبر التونسيين هذا الفعل تحدي للشعور الوطني، خاصة أن الكنيسة قررت إيواء عدد من الرهبان المشاركين في هذا المؤتمر بإحدى البيوت التابعة لها في القنطرة على مقربة من نهج " الحلفوين " حيث تسكن عائلة "صالح بن يوسف"، وكان الرهبان يمرون بين الناس حاملين صلبانهم على صدورهم فكثير التملل بين الناس، واجتمع عدد من الشبان التونسيين والجزائريين المثقفين الرافضين لهذه الأعمال المسيئة للمسلمين في أرضهم ودينهم، وكان من بينهم "علالة بلهوان" و"الطيب سليم" و"البشير بن يوسف" و"سي زروق" من الجزائر، وكان معظمهم من خريجي جامع الزيتونة وقرروا القيام بعمل ما للتنديد بهذا الوضع، وتأكدوا من أن هناك حزب وطني لا يمكن تخطيه فبادروا بزيارة إلى مقر الحزب وطلبوا بتنظيم مظاهرات من أجل وضع حد للتحدي المسيحي الاستعماري².

¹ المرجع نفسه، ص ص: 21 - 22.

² منصف الشابي، المرجع السابق، ص: 23.

لقد اخذ المتظاهرون رد المفوض عن الحزب " صالح فرحات " وكان على رأسهم "صالح بن يوسف" ونظموا مظاهرات في الشوارع التونسية ورفعت الشعارات منددة بتسلط سلطة الحماية وتعدي عن الشعب التونسي ومدافعين عن الدين الإسلامي، فتفطنت السلطات الاستعمارية بهذا العمل وألقت القبض على المتظاهرين وكان ذلك أول عهد "لصالح بن يوسف" بمصالح الشرطة الفرنسية وسجون المستعمر¹.

أخذ "صالح بن يوسف" قناعة مفادها أن العالم بأسره يتكون من صنفين الأقوياء والضعفاء تماما مثلما هو الحال في الغاب، فالقوي يأكل الضعيف والضعيف ينتظر كل يوم متى سيأكل، وبدا يفكر انه لا سبيل إلى القوة إلى بقوة الشعب المقيدة، ولا سبيل إلى الكرامة إلا بتحرير الوطن من قبضة الاستعمار، وكانت هذه الأفكار تخالج فكره وهو يغادر ارض الوطن لمواصلة الدراسة على مقاعد "جامعة السربون" بباريس، فليس هناك تناقض هنا إن تتعلم "صالح بن يوسف" في الجامعة الفرنسية حيث كان ولا بد عليه من التسلح بسلاح العدو حتى يستطيع مقاومته.

لقد فهم "صالح بن يوسف" من خلال علاقته اليومية بالجزائريين والمغاربة أن النضال يجب ان يكون مشترك بين البلدان المغاربية الثلاثة لأنها تعاني من نفس الداء ، وانه لا علاج من هذا الداء إلا بالتخلص من الاستعمار الفرنسي فنمت وترعرعت فكرته الوحشية والنضالية بين بلدان المغرب العربي.

② التكوين السياسي والاجتماعي لصالح بن يوسف فترة ما بين الحربين إلى غاية بروز الصراع .

كان "صالح بن يوسف" يعود إلى تونس كل صائفة حاملا معه أخبار النضال الوطني التونسي في باريس، ويشارك في المجموعات الشبانية التي تميزت لدى قادة الحزب الحر الدستوري الجديد بنشاطاتها الواسعة واتصالها بالجمهير في مختلف الجهات، واتسعت علاقة "بن يوسف" بهؤلاء الشبان وخاصة "الحبيب بورقيبة" رغم انه كان يعيب على هذا الأخير بعض الجوانب اللامعقولة في

¹ مسعود الخوند، الموسوعة... المرجع السابق، ص: 140 - 141.

تصرفاته فقد لاحظ عنه في مناسبات عديدة انه يريد الإفطار في شهر رمضان ، وانه يعتمد التدخين في الشارع العام.

وفي يوم من الأيام شهر رمضان وكان الشعوب الإسلامية صائمة، كانأمام مكتبه يستعد لصعود سيارته من نوع " رونو" هاجمه جمع من "المطاوة" أصيلي "المطوية" وضربوه بالطماطم على وجهه ولطخوا بدلته الجميلة بالون الأحمر، ومنذ ذلك الوقت شددت سلطة الحماية الحراسة على مكتب "الحبيب بورقيبة"، فكان يقف أمام مكتبه باستمرار شرطيان فرنسيان بالزى العسكر حماية له وإخافة من يريد الاعتداء عنه¹.

الواقع أن فترة ما بين الحربين العالميتين قد شهدت عملا حثيثا للتونسيين على الصعيدين الاجتماعي والسياسي وحتى الاقتصادي في جانب التجارة، فخلالها تمكن جماعة من سكان جربه من اقتحام ميدان التجارة ومنافسة العناصر الايطالية واليهودية، هذا في الوقت التي برزت في جماعة من الشباب معظمهم تخرجوا من المدارس الفرنسية ويحملون على عاتقهم العمل السياسي وإخراجه من فترة الركود الذي عرفها العمل والحركة السياسية طوال فترة العشرينات من القرن العشرين².

كان انعقاد مؤتمر البعث المؤتمر الاستعجالي للحزب الدستوري بقصر هلال في 02 مارس 1934 إيذانا ببداية مرحلة جديدة في الحكومة الوطنية بقيادة "الحزب الدستوري الجديد" والذي كان الزعيم "صالح بن يوسف" من أهمالأعضاء البارزين في الحزب ، حيث انه بدوره الفعال لم يحضر قصر هلال، وتميز بالدفاع على جميع حقوق التونسيين ماديا ومعنويا وبالمطالبة بالاقتراع العام بدون تمييز في العرق والمعتقد، وكانت هذه إشارة إلى الطريقة الجديدة المعتمدة في العمل السياسي³.

إن هذه السياسية لم يقبله الزعيم "الحبيب بورقيبة" والذي كان يسعى دائما الى كسب تأيد فرنسا والسير ببلاد خطوة بخطوة نحو الاستقلال أوسياسة المراحل لتحقيق الاستقلال، وهذا ما لم يقبله

¹ منصف الشابي، المرجع السابق، ص : 26.

² عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا واسيا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر. 2012، د ط، ص : 85.

³ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص : 86.

صالح بن يوسف وبدأت بوادر الانشقاق والصراع بين الزعيمين " بورقيبة " و " بن يوسف " ودخول مرحلة الصراع الذي عرف أوجه فيما بعد.

التحق "صالح بن يوسف " مباشرة في صفوف الحزب الدستوري الجديد محتلا في المراتب الأولى دون أن يكون عضوا في ديوانه السياسي ولا في هيئته الإدارية، إضافة إلى ذلك كان يمتلك قدرة خطابية هائلة يفتقر إليها الأعضاء البارزين في الحزب وفي هذه المرحلة من النضال السياسي. رافق الزعيم "صالح بن يوسف " مسيرة هذا الشعب ونضاله الوطني والقومي بمهارة وحسن تدبير وتنظيم وبعزم مفاده هو أن يحقق الشعب التونسي استقلالاً كاملاً غير منقوص متحدياً في ذلك كل القوى الأجنبية والمحلية التي كانت تعترض على ذلك أو تساوّم فيه ¹.

تزوج "صالح بن يوسف " من السيدة "صوفية زهير" ورفض الزعيم أن يقيم بهذه المناسبة احتفالاً بل رافقه بعض أصدقائه إلى بيت بالعاصمة التونسية ، حيث كانت عروسه في انتصاره، ثم أخذها إلى بيته الصغير ببارد و بعدها انتقلا إلى عين دراهم لقضاء عطلة العسل وشهره، وتذكر السيدة "صوفية" أن المرحوم "المنجي سليم" جاء إلى عين درهم في اليوم الرابع من إقامتها هناك فغادر الزعيم "صالح بن يوسف " إلى مهامه النضالية والوطنية من أجل تحرير البلاد.

وقد ولدت له السيدة صوفية ولدين الشاذلي سنة 1948 ولطفي سنة 1950 ².

¹ منصف الشابي، المرجع السابق، ص ص : 28 – 29.

² منصف الشابي، المرجع السابق، ص: 29.

الفصل الثاني :

مظاهر الصراع بين الزعيمين وتطوراته 1953 – 1956

① المبحث الأول: الظروف العامة للصراع بين الزعيمين

(بورقيبة- بن يوسف).

② المبحث الثاني: جذور الصراع والمراحل التي مر بها .

③ المبحث الثالث : المواقف الداخلية والخارجية من الصراع .

④ المبحث الرابع : نتائج الصراع وانعكاساته على مستقبل

البلاد التونسية.

⑤ المبحث الخامس : مصير الحركة اليوسفية بعد اغتيال قائدها

صالح بن يوسف

①المبحث الأول: الظروف العامة للصراع بين الزعيمين (بورقيبة- بن يوسف)

لقد ساهم في تأجيج الصراع بين الزعيمين "الحبيب بورقيبة" و"صالح بن يوسف" جملة من الظروف سواء منها العامة "الدولية" والفرنسية الداخلية الخاصة بالبلاد التونسية والتي نحملها فيما يلي:

①أولا: الأوضاع الدولية:

إنالأوضاع التي شهدتها العالم والتي لديها علاقة بتونس ساهمت سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة في حدة الصراع بين الزعيمين ونحصر هذه الأوضاع في أربع نقط:

1 : انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة : حيث كانت مجموعة من الدول والمناطق خارج أوروبا تحت الحكم الفرنسي بداية من سنة 1600 إلى غاية 1960.

بدأت فرنسا في تأسيس هذه المستعمرات مستفيدة من نجاحات البرتغال والأسبان في الكشوفات الجغرافية وفي القرن التاسع عشرأسست فرنسا إمبراطوريات جديدة في إفريقيا وجنوب آسيا وبسقوط فرنسا تحت الحكم النازي في الحرب العالمية الثانية ،بدأت الحركات التحررية في تحدي فرنسا وفي نهاية 1960 كانت معظم مستعمرات فرنسا قد تحصلت على استقلالها ماعدا مجموعة جزر تم دمجها مع فرنسا وبهذا أسقطتالإمبراطورية الاستعمارية القديمة التي كانت تترعماها فرنسا وبريطانيا¹.

وهنا نلاحظ انه لما بدأت تنهار الإمبراطورية الفرنسية واستعمارها، حيث ركز "صالح بن يوسف" على ضرورة العمل المسلح لطرد سلطة الحماية لأنها بدأت تتآكل، في حين سعى الحبيب بورقيبة الى التقرب من فرنسا وأن تعطي الاستقلال لتونس دون أي خسائر وهنا ساهم انهيار السلطة الاستعمارية في حدة الصراع بين الرجلين .

2 : تصاعد المد التحرري : شهدت العديد من بلدان العالم ظهور حركات تحرر مناهضة ومعادية للاستعمار من بينها الهند الصينية والتي جاءت إرهابات هذه الثورة بعد الحرب العالمية الثانية وانتهاء الشبح الفرنسي الذي لا يهزم بانهمزاه من قبل ألمانيا حيث بدأتالفيتناميون يحضرون لثورتهم بقيادة "هوشي منه" ودفع به إلىإعلان الحرب على فرنسا بداية من العام 1946.

1Vincent cofer. French.Colonial ideas before 1789.French historical.Vol. 3.No. 3 (spring. 1964).

- ونظرا لعدم تكافؤ موازين القوى بين فرنسا والفيتنام عسكريا التجاء الفيتناميون الى الجبال معتمدين حرب العصابات التي استمرت إلى غاية ماي 1954 والتي كانت آخرها معركة ديان بيان فوومن بين العوامل التي ساعدت الفيتناميين ماييلي:
- الشعار الذي رفعه اليابانيون (أسبالأسويين)
 - إعطاء القيادة السياسية والعسكرية لشخص واحد (موحدة)
 - خروج فرنسا منهمكة من الحرب العالمية الثانية
 - اعتماد الفيتناميين على حرب العصابات¹.

إن المتتبع للمد التحرري يرى انه ظهر في العديد من المناطق ومن بين هذه الدول نجد: مصر ونجاح الثورة المصرية 1953 والهند واستقلالها من بريطانيا 1947، وفي مناطق عديدة من العالم هنا تأثر الشارع التونسي بهذه الظاهرة خاصة السياسيين التونسيين وعلى رأسهم "صالح بن يوسف" و"الحبيب بورقيبة" بفكرة انتهاء الشبح الاستعماري بدليل نجاح المد التحريري في العديد من المناطق وهزيمة فرنسا في العديد من المواجهات، وهذا الحدث بدوره ساهم في توتر العلاقات بين الزعيمين اذ ان كل شخص يرى استقلال تونس في اتجاه "الحبيب بورقيبة" يراها في التقرب والمفاوضات مع الاستعمار و"صالح بن يوسف" يراها في زيادة العمليات العسكرية وإجبار فرنسا أن تمنح الاستقلال لتونس بقوة الرجال والسلاح .

3 : استقلال بعض الدول العربية:

لقد كان لاستقلال بعض الدول العربية سببا في تأجيج الصراع بين الشخصيتين "صالح بن يوسف" و "الحبيب بورقيبة" ومن بين هذه البلدان التي استقلت لبنان 22 نوفمبر 1943 عن فرنسا وليبيا في 10 فبراير 1947 عن ايطاليا وفي 24 ديسمبر 1954 عن مجلس الوصاية البريطاني والفرنسي وسوريا في 17 أبريل 1946 عن فرنسا². حيث كان للاستقلال هذه الدول الأثر الكبير في بروز الصراع بين الزعيمين وذلك من حيث نوعية الكفاح فاتخذ "الحبيب بورقيبة" الحل السلمي في مجابهة فرنسا، وبن يوسف اتخذ الجانب العسكري المسلح في مجابهة سلطة الحماية .

¹ . www.ingdz.com . تاريخ الدخول : 2014 /02 /17 . على الساعة: 18.00.

² Forum. Eldwle.com./t25941.html تاريخ الدخول : 2014 /03 /10 . على الساعة: 18.00.

4 : ظهور المنظمات الدولية والإقليمية:

إن ظهور المنظمات الدولية والإقليمية كان له الأثر الكبير في ظهور الصراع بين الزعيمين التونسيين من بين هذه المنظمات الدولية والإقليمية نجد هيئة الأمم المتحدة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية والتي كانت تدع إلى الأمن والسلم العالمي ومن حق الشعب في تقرير مصيره. هنا مرتبط الفرس الذي تشبث به معظم الشعوب العربية وخاصة الشعب التونسي وتمسكه بحق تقرير المصير من برائن الاستعمار الفرنسي. وجاءت فكرة التنظيمات الدولية والإقليمية لتنظيم العلاقات الدولية بين الدول في إطار التعاون في جميع الميادين وخاصة الاقتصادية للزيادة من تطور الدول والاستفادة من بعضهم وكانت فكرة تأسيسها مستوحاة من الهيئة التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى وهي عصبة الأمم المتحدة لتكون أول منظمة مفتوحة العضوية لكافة الدول ومنفتحة على دراسة مشاكل العالم في تفاصيله الكاملة¹.

② ثانيا. الأوضاع والظروف الفرنسية:

1 : انهزام فرنسا في (معركة ديان بيان فو):

في نوفمبر 1953 بدأت القوات الفرنسية ببناء قاعدة للجيش حول قرية ديان بيان ف وفيما يعرف الآن بشمال غربي الفيتنام وكان الغرض من هذه القاعدة هو تعطيل حركة الجيش الفيتنامي وفي 13 مارس سنة 1953 شن حوالي 50000 جندي فيتنامي هجوما على قوات فرنسية يزيد قوامها 10000 جندي في القاعدة الفرنسية ودمر واسريعا مطار القاعدة تاركين بدورهم الفعال الفرنسيين بدون مئون كافية وقاوم الفرنسيون على الرغم من قلة عددهم الهجوم الفيتنامي لمدة 56 يوم ولكنهم اجبروا على الاستسلام في 7 ماي 1954 وانتهى القتال أوائل اليوم التالي².

وقد جاءت معركة "ديان بيان فو" لتؤكد أن صفحة الاستعمار القديم في طريقها لان تطوى في ظل وجود قوى جديدة ، وتحول العالم إلى قطبية ثنائية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية

¹ تقرير التنمية البشرية، الأمم المتحدة. برنامج الأمم المتحدة الألماني U.N.D.P. نيويورك 1999. محمد السعيد الدقاق. و مصطفى

سلامة حسين، المنظمات الدولية المعاصرة، دار الدراسة الجامعية، بيروت، 1990. ص4.

² www.alhayat.j.com/merusiete . تاريخ الدخول : 2014/03/20. على الساعة : 16.00.

ar.wikipedia.org/wiki . تاريخ الدخول : 2014/03/20. على الساعة : 16.00.

والاتحاد السوفيتي، هذا مايفسر تخلي القوات الأمريكية عن فرنسا في الفيتنام ثم تدخلها العسكري في نفس المنطقة عام 1964 في إطار الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

2 : اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر في 01 نوفمبر 1954.

ساهم اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر في غرة نوفمبر 1954 في حدة وتوتر الصراع بين الشخصيتين "صالح بن يوسف" من جهة و "الحبيب بورقيبة" من جهة أخرى، خاصة بعدما اتخذ "صالح بن يوسف" الموقف الرسمي في تدعيم الثورة الجزائرية.

لقد كان التونسيين حديثي العهد بالاستقلال الجزئي، الشيء الذي أدى إلى تأزم العلاقات بين تونس والجزائر وبين "صالح بن يوسف" و "بورقيبة".

إن التحاق عدد كبير من مجاهدي الأمانة العامة للحزب الحر الدستوري الجديد بقيادة "صالح بن يوسف" الرافضين تسليم أسلحتهم لفرنسا طالبين من "الطالب العربي الجزائري"¹ الانضمام إليه لمقاتلة الجيش الفرنسي.

توالى الاتصالات مع مبعوثي "الحبيب بورقيبة" للدخول في حوار مع "الطالب العربي" طالبين بإصرار شديد استسلام هؤلاء الجنود لأنهم تونسيين ، فكان رد "الطالب العربي" كل مرة بالرفض متمسكا بعدم تسليمهم وقطع على نفسه عهدا بأنهم "لا ولن يوجه احد منهم سلاحه نحوكم، ولا وفي أسوأ الأحوال"².

وفي هذا الوضع الشديد التفاعل اصدر وزير الداخلية التونسي امراً عن طريق ولايته "للطالب العربي" بمغادرة الحدود في ظرف 48 ساعة، إلا أن القائد "الطالب العربي" طلب منه التمهّل، وتجاوز مع المبعوث التونسي على قوله مسقّلون في أرضنا فرد عليه بهدوء: قل لحاكمك:

"إن جيش العدو البالغ تعداده مايزيد عن أربعة عشرة ألف جندي علاوة على مايزيد أيضا على خمسة آلاف جندي من الأعوان العملاء، يربطون من حدود ليبيا إلى هذه الحدود، نحن نحارب

¹ الطالب العربي هو : كان من الجزائريين الذين انتقلوا إلى تونس واستقروا بمدينة الرديف من مواليد وادي سوف سنة 1923 شارك في العمليات العسكرية في الثورة التونسية سنة 1952 ولم اندلعت معركة التحرير الجزائرية كان من الاوائل الذين اتصلوا بمصطفى بن بولعيد حيث كلف بجمع الأسلحة وتجهيزها على الحدود الجزائرية التونسية .استشهد سنة 1957 . انظر : منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية الجهة الشرقية 1954 - 1962 ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين . د م ط ، 2007 ، ص : 126 .

² منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ، المرجع السابق ، ص ص : 126-130 .

هؤلاء الأعداء بكل شراسة، فأخرجوهم إيان كنتم قادرين واعدكم بان جيش الحدود سيرحل إلى داخل الجزائر فوراً ، وما أعاهدكم عليه هو أن لن أشهر سلاحاً في وجه إياخ تونسي وسأعمل في التفكير في هذا الموضوع " ¹.

ومن هنا شكل الدعم الذي قام به "صالح بن يوسف" للثورة الجزائرية عموماً و "للطالب العربي" خصوصاً سبباً من الأسباب المهمة في احكام الصراع بينه وبين "الحبيب بورقيبة".

3 :إصرار التونسيين على المقاومة :

ويتضح هذا جلياً في التحدي الذي قدمه الشعب التونسي وإصراره على المقاومة، وذلك بالموقف الذي اتخذته صالح بن يوسف دائماً وه ومواصلة الكفاح المسلح.

4: تخوف فرنسا من هزيمة أخرى في منطقة المغرب العربي وتخوفها من تحالف الشعوب المغاربية فيما بينها.

اتضح هذا الأمر جلياً لفرنسا، خاصة بعد هزيمتها النكراء في منطقة الهند الصينية (الفيتنام) في معركة "ديان بيان فو".

أصبحت فرنسا تشعر في منطقة المغرب العربي بنوع من التخوف والحذر من هزيمة أخرى في المنطقة، لأن هذه الهزيمة تؤثر عليها من الناحية العسكرية ،وبذلك تكون فرنسا قد فقدت مستعمراتها شيئاً فشيئاً، هذا بالإضافة إلى موقف فرنسا وتخوفها من تحالف الشعوب المغاربية ² الذي اتخذته "صالح بن يوسف" وتدعيمه الدائم والمستمر للثورة الجزائرية.

③ ثالثاً: الأوضاع التونسية:

1 : انطلاق معركة التحرير التونسية 1952/12/05

انطلقت معركة التحرير الحاسمة في 5 ديسمبر 1952 والتي اعتمدت إستراتيجية تعتمد على تعبئة الجماهير الوطنية وكسب تأييد الرأي العام الفرنسي والعالمي مع ازدواجية العمل السياسي والعمل العسكري والنضال حسب ما تتطلب طبيعة المعركة وميزان القوى وظروف المقاومة الشعبية. وفي 16 ديسمبر 1952 أرسلت برقيات احتجاج إلى الحكومة الفرنسية من طرف الحزب الدستوري الجديد، وقرروا الاضطراب العام لمدة ثلاثة أيامواظهر نجاح الاضطراب استعداد الشعب

¹ المرجع نفسه ، ص ص :130 – 135.

² الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص :110.

لرفع التحدي وكانت الاجتماعات الشعبية التي نظمها الحزب الدستوري الجديد ترمي إلى تعبئة الشعب التونسي وتهيئته للمواجهة الأخيرة الحاسمة نحو الاستقلال .

ومثل اغتيال الزعيم النقابي "فرحات حشاد" 5 ديسمبر 1952 في الوقت الذي كانت فيه اللجنة السياسية للأمم المتحدة تدرس القضية التونسية تجاوز لكل المعايير السلوكية الدولية، إضافة إلى ما يمثله من تصعيد سياسة التصلب والقمع وإطلاق العنان لاستبداد رجال الإقامة العامة في تونس وحلفائهم في المنظمة الإرهابية الفرنسية "اليد الحمراء"¹.

توقفت الثورة التونسية فترة من الزمن بسبب سياسة التهدة من طرف فرنسا بإرجاع عدد من المبعدين وإطلاق سراح المساجين، ولكن الحركة الوطنية اعتمدت خطة الصمود وجندت الشعب لاسترجاع سيادته وعادت حركت المقاومة للنشاط وتواصلت عمليات المقاومة خلال شهر جوان 1954، وبعثت هذه العمليات الرعب في قلوب المعمرين الذين أيقنوا أن المقاومة تهدد الوجود الاستعماري وتعزل أنشطتهم ومصالحهم كفئة محضوة في البلاد².

وتوالى الأحداث لتنتهي بتوقيع معاهدة الحكم الذاتي التي اعتبرها بعض قادة الحزب الحر الدستوري الجديد وخاصة "صالح بن يوسف" تحاذلا من "الحبيب بورقيبة"، فيما يرى البورقيبيون أن من شأن هذه المعاهدة أن تفقد تونس إلى تحقيق الاستقلال حيث سافر "الحبيب بورقيبة" لهذا الغرض إلى فرنسا وتقابل يوم 03 فيفري 1956 مع رئيس الحكومة الفرنسي "غيا مولي" وتم الاتفاق على إرسال وفد للتفاوض ففتحت المفاوضات يوم 29 فيفري وتعثرت طيلة 18 يوم بسبب المماطلة الفرنسية. ليتم أخير يوم 20 مارس 1956 التوقيع على الاتفاق الذي تعترف به فرنسا باستقلال تونس بما يقتضيه من ممارسة لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل جيش وطني تونسي ووقع على هذا الاتفاق في 20 مارس 1956 بباريس من طرف "الحبيب بورقيبة" ممثلا على تونس³.

2 : موجة القمع التي اعتمدها السلطات الفرنسية : خاصة بعد توقيف الزعيم "الحبيب بورقيبة" خاصة وأنه عرف بنشاطاته السياسية حتى في الخارج مثل القاهرة والبلدان الأخرى، بالإضافة إلى

¹ مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج 7، مؤسسة هانيد، بيروت. لبنان. د ط، د س، ص: 144.143.

² مقال لبسام حمدي، سياسي تونسي، منشور على موقع: or.webmangerenter.com تاريخ الدخول 20/03/2014. على الساعة : 12.00.

³ مقال لبسام حمدي، المرجع السابق، تاريخ الدخول : 20/03/2014. على الساعة : 14.00.

خطاباته المقنعة للجماهير هذا بدوره شكل نقطة عثر بالنسبة إلى فرنسا فقامت بتوقيف تارة وبسجنه تارة أخرى، بالإضافة إلى انطلاق المظاهرات في معظم أرجاء القطر التونسي حيث كانت هذه المظاهرات تأييد من زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد "صالح بن يوسف" و"الحبيب بورقيبة"¹.

3 : تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس : من ضعف في الاقتصاد وتدهور الحالة الاجتماعية والمعاشية للسكان ، كل هذه الأوضاع ساهمت بصورة مباشرة وغير مباشرة في حدة وتوتر الصراع بين الطرفين²، خاصة وان "الحبيب بورقيبة" فتح بابا للمفاوضات مع سلطة الحماية الفرنسية ولم يوافق "صالح بن يوسف" في هذا التوجه الذي اتخذ به شان المرحلة الانتقالية التي ستسير إليها تونس .

② المبحث الثاني: جذور الصراع والمراحل التي مر بها

يرجع بعض المؤرخين جذور الحركة اليوسفية ، حين تشكل الحزب الحر الدستوري 1920 على يد الزعيم "عبد العزيز الثعالبي" الذي كان من ركائز الإصلاح الاجتماعي والفكري الديني فيتونس، وكان متشبثا بالتراث العربي الإسلامي، فكان الحزب الدستوري القديم إلى جانب "صالح بن يوسف" الذي أصبح يرى فيه معبرا عن التطلعات وأفكار الحزب الدستوري القديم ومدافعا عن توجهاته، ويرى فيه الزعيم الكبير صاحب الرصيد النضالي القادر على أن يضاهي "بورقيبة" والوقوف بندية في وجهه، كما وقفت جامعة الزيتونة المدافعة عن الهوية العربية الإسلامية لتونس إلى جانب "صالح بن يوسف" نظرا لاختلافاته التقليدية مع "بورقيبة" وميوله للحضارة الغربية³.

وانضم كبار الفلاحين الذين مكنهم "صالح بن يوسف" من العبور إلى "الاتحاد العام للفلاحة التونسية" إلى الحركة اليوسفية بهدف حماية مصالحهم أمام خطر التزاعلات العالمية الاشتراكية التي كان يمثلها "الاتحاد العام التونسي" الذي تحالف مع "الحبيب بورقيبة" خلال فترة الانشقاق داخل الحركة الوطنية⁴.

¹ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص: 111- 112.

² المرجع نفسه، ص ص: 110- 112.

³ المنجي وارده، جذور الحركة اليوسفية، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 71. 72 مؤسسة التميمي، زغوان. تونس، ص ص: 483- 482.

⁴ توفيق المداني، المعارضة التونسي، نشأتها و تطورها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 2001. ص: 14.

لقد انضم أيضا قسم من جيش التحرير الذين كان لهم ميولا عربيا مشرقيا إلى الحركة اليوسفية بهدف استعادة مكانتهم في معركة التحرير الوطني واستعادة سلاحهم الذي جردهم منه "بورقية"¹. اتسمت الحركة اليوسفية ببعدها القومي وذلك بالجوع إلى المؤتمر الذي عقد في القاهرة عام 1947 وضم كافة حركات التحرر في المغرب العربي وانبثق عن لجنة تحرير المغرب العربي 1948 التي أسندت رئاستها إلى "الأمير عبد الكريم الخطابي" وأمانتها العامة إلى "الحبيب بورقية" وقد دب الخلاف بين أعضاء المكتب وخاصة بين "الحبيب بورقية" و"الأمير عبد الكريم الخطابي" بسبب الموقف من الكفاح المسلح حتى بين أعضاء الحركة الوطنية التونسية بسبب هذا الموقف من الكفاح المسلح حتى بين أعضاء الحركة الوطنية التونسية بسبب هذا الموقف بالذات ونذكر منهم "الحبيب بورقية" و"يوسف الروسي" وغيرهم².

ومن العوامل التي أسهمت أسهاما فعليا في تعميق البعد القومي للحركة اليوسفية ، وبالتالي في إخراج المسألة التونسية من حيزها القطري الضيق إلى بعدها العربي ، اندلاع ثورة الضباط الأحرار في مصر "ثورة 23 جويلية 1952" بزعامه "عبد الناصر"، و التي شكلت نقطة انعطاف كبير في صعود الحركة القومية العربية إلى واجهة الأحداث، هذا بالإضافة مشاركة "صالح بن يوسف" في مؤتمر باندونغباندونيسيا سنة 1955 وهناك صورة في الملحق رقم 04 تشير إلى الأستاذ "صالح بن يوسف" وهو جالس في المؤتمر .

هذا بدوره عزز حضوره السياسي كزعيم وطني وعزز أيضا علاقته مع عبد الناصر وزعماء العالم الثالث آنذاك، فضلا عن ذلك كان لهزيمة فرنسا في معركة "ديان بيان فو" في الفيتنام سنة 1954 واندلاع الثورة المسلحة أول نوفمبر الأثر البالغ في تجنيد الحركة اليوسفية خاصة ومساندته الدائمة للثوار الجزائريين³.

¹ المنجي وارده، المرجع السابق، ص : 483.

² محمد بن عبود، جاك كاني، مؤتمر المغربي 1947 وبداية نشاط المغرب العربي في القاهرة، المجلة التاريخية المغربية، عدد 26، 25، 1982، تونس، ص: 2.

³ توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص : 17 – 18.

يرى الدكتور "عدنان منصر" أستاذ التاريخ بجامعة سوسة التونسية أن "صالح بن يوسف" لديه نشاطات في الخارج، حيث أسس شعبة طلابية وكان له الدور الكبير في طلبة شمال إفريقيا بالاشتراك مع المناضلين الجزائريين والمغاربة وهذه الشعبة الطلابية تابعة بدورها إلى الحزب الدستوري القديم بقيادة "عبد العزيز الثعالبي" وعاد منفردا إلى تونس سنة 1934 وانضم إلى الحزب الحر الدستوري الجديد ولم يعيش قصر هلال والانشقاق بين القدماء والجديد لم يساند "بورقيبة" في آرائه وأفكاره وفي هذا الانشقاق¹.

إن عودة "صالح بن يوسف" إلى تونس ملأت الفراغ السياسي باعتقال معظم القادة السياسيين من طرف السلطات الفرنسية، وعلى رأسهم "الحبيب بورقيبة". وهذه الاعتقالات لم تشمل "صالح بن يوسف" لأنه لم يكن بارزا ولا ظاهرا للسلطات الاستعمارية مما مكنه من المشاركة في إعادة تنظيم الحزب وإعادة بعث الشعب في مختلف الاتجاهات خاصة وأنه لديه قدرات إقناعية كبيرة ويمتاز بخطاباته التعبيرية المؤثرة جدا، ولكنه يرى أن ما بقي القبض عليه سنة 1936، وأودع في السجن مع جماعة في الجنوب التونسي². هذا الشيء المتمثل في القدرة الإقناعية وتعبئة الجماهير خاصة وأن "بن يوسف" كان محبوبا لدى الجماهير، حيث ساهم بصورة كبيرة في ظهور الصراع بين "بورقيبة".

إن الدور الذي قام به "صالح بن يوسف" في إعادة بناء الحزب وإعادة بناء الحركة الوطنية كان لا يقل أهمية من الدور التأسيسي للحزب الحر الدستوري الجديد، حيث يمكن القول بأن الزعيم "بن يوسف" دخل في حركة بناء وبدأها من الصفر³. "بورقيبة" منذ سنة 1938 لم يعد له ذلك الإشعاع وذلك البروز على الساحة الوطنية، حيث كانت كل الأنظار متجهة نحو الشخصية الثانية للحزب وهي شخصية "صالح بن يوسف"⁴.

يرى أحد المناضلين أنصار "صالح بن يوسف" واسمه "علي بن سالم" أن وجود "الحبيب بورقيبة" في تونس يضر الحركة الوطنية ولم يعد ينفعها، حيث وقع اجتماع في بيت "سي صالح بن

¹ عدنان منصر، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق. جوان : 2012.

² عروسية التركي، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق. جوان : 2012.

³ عدنان منصر، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع نفسه. جوان : 2012.

⁴ محمد ضيف الله، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع نفسه. جوان : 2012.

يوسف "بخصوص هجرة "بورقية" إلى المشرق و أول من ابتدع فكرة هجرته هـ و"صالح بن يوسف" وقال حتى نحفظ له ماء الوجه خاصة وان "بورقية" لم يعد له أي رصيد من الاحترام سبب موقفه مع المحور "ألمانيا بالتحديد"، حيث أصبح الشعب التونسي كله معالمان في الحرب العالمية الثانية وذلك يعتبر خيانة للشعب التونسي وخيانة لقضيتهم الوطنية والإسلامية¹، هذا بدوره يعتبر من المؤشرات الأساسية في احتدام الصدام بين الشخصيتين "الحبيب بورقية" و"صالح بن يوسف".

يرجع بعض المؤرخين خاصة التونسيين منهم جذور صراع البورقيي اليوسفي إلى صائفة 1947. أين ظهر انشقاق داخل الحزب الدستوري الجديد ، وذلك بسبب اختلاف تشكيلة الحزب الإيديولوجية، حيث جمع الديوان السياسي في الحزب كل من الشيخ "الفاضل بن عاشو" روالأستاذ"صالح بن يوسف" و "سليمان بن سليمان" و "الهادي نويرة"، وانعكست هذه التشكيلة على مواقف الحزب الحر الدستوري الجديد. فظهرت وجوه عديدة طائفية تنادي بالاستقلال التام، وكان ذلك في مؤتمر ليلة القدر 1946²، وأطراف أخرى تنادي بالحكم الذاتي وكانت هذه الأطراف من أنصار "الحبيب بورقية"³.

يرجع "الحبيب بورقية" من خلال خطابته التي القاها القاهرة سنة 1955.1956، والتي قيدها وذكرها في كتابه "حياتي، أفكاري، كفاحي" إلى أن هجرته إلى المشرق مؤامرة دبرها "صالح بن يوسف" لإبعاده عن الساحة الوطنية والسياسية، كما اتهم "بورقية" بن يوسف "بالتقصير في إرسال المال أثناء تواجده في القاهرة، كما اعتبر بورقية مؤتمر "دار سليم" في 17 أكتوبر 1948 والذي كان بهدف حل النزاع القائم بين أعضاء الحزب حول اتهام بعض من رجال الحزب بتقربهم من البرجوازية والقصر الحكومي وإهمالهم العمل القاعدي، فكان هذا المؤتمر في نظر "بورقية" محاولة من "صالح بن يوسف" لإبعاده، فكان رجوع "بورقية" لتونس سنة 1949 بهدف وضع حد لخيانة "صالح بن يوسف" و"المنجي سليم"⁴.

¹ علي بن سالم" مناضل من أنصار صالح بن يوسف"، صالح بن يوسف جريدة دولة، المرجع نفسه. جوان : 2012

² مؤتمر ليلة القدر: هو مؤتمر جمع مختلف القوى والشخصيات الوطنية في ليلة القدر يوم 23 أوت 1946. و كان بدعوة من صالح بن يوسف. انظر: منصف الشابي، المرجع السابق، ص: 106.

³ عروسية التريكي، الحركة اليوسفية في تونس 1955.1956، دار النهي للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د ط، 2001، ص: 43.

⁴ عروسية التريكي، المرجع السابق، ص : 92.

يعتبر مؤتمر ليلة القدر أول اجتماع درست فيه القضية التونسية بشكل واضح، وطالب فيه التونسيين بالاستقلال التام من فرنسا وكان "الزعيم صالح بن يوسف" رائد هذا القرار، لكن السلطات الفرنسية داهمتهم أثناء تلاوة لائحة المؤتمر المطالبة بالاستقلال، و لأول مرة وبكل وضوح طالبا استقلال البلاد التام وأعلن من خلال هذا المؤتمر انضمام تونس لجامعة الدول العربية¹.

تأكد "الحبيب بورقيبة" من المؤامرة التي حيكت ضده اثر انعقاد مؤتمر "دار سليم" الذي دعا إليه "صالح بن يوسف" اثر رجوعه من مصر في أكتوبر 1948 حيث عين فيه "الحبيب ثامر" نائبا "لبورقيبة" بينما تولى "صالح بن يوسف" الأمانة العامة².

انعقد مؤتمر "دار سليم" يوم 17 أكتوبر 1948 اي بعد عودة "صالح بن يوسف" من القاهرة بأيام قليلة، افتتح "صالح بن يوسف" المؤتمر بخطاب ابرز من خلاله انجازات الحزب في فترة غياب "الحبيب بورقيبة"، وما اكسبه من هبة وتقدير، ولكنه أشار كذلك امتعاضه الشديد من بعض الدستوريين البورقيبيين، الذين أرادوا ان يعقد الاجتماع بعزلة عن هياكل الحزب وبالتحديد في مقهى "لصفر جراد" بالقلالين³، حيث وصفهم بأنهم من دعاة التفرقة ونعت عملهم بالعمل الإجرامي مما أثار استنكار مجموعة من المؤتمرين ولوح البعض منهم بمقاطعة المؤتمر إلا إن تدخلات البعض هدأت النفوس وسمحت بمواصلة أشغال المؤتمر وقد تمخض عن أعمال هذا المؤتمر ظهور انقسام المؤتمرين إلى قسمين :

القسم الأول : يمثل اغلب المؤتمرين حيثأشادوا بما أنجزه الحزب واعتبرها أنماز هي فترة عاشها الحزب حيث استقطب المنظمات الوطنية واستفاد من استمالة الباي ودعمه للعمل الوطني.

¹ زمن الحبيب بورقيبة، شريط وثائقي حول الحقبة البورقيبية، بثته قناة العربية، إعداد الهادي حناشي، إخراج حاصر عبد الرحمان. أوت : 2006.

² الحبيب بورقيبة، حياتي... المصدر السابق، ص: 203.

³ عمار السوفي، عواصف الاستقلال، د د ن. تونس، 2006، د ط، ص : 42.

القسم الثاني : استنكر استحواذ "صالح بن يوسف" و"المنجي سليم" على الحزب وسعيهم لإقصاء "الحبيب بورقيبة"، حيث تم تهجيرهم الى المشرق وقطع المورد المالي عليه وتبجيل "الحبيب ثامر" عليه¹.

ويقول الدكتور رؤوف حمزة " إن الخلاف بين الزعيمين خلافا مفتعلا إلى حد ما والأسباب وخلفياته تكمن في عوامل ذاتية، والصراع حول السلطة يرجع الى السنوات 1949-1948 التي كان فيها "الحبيب بورقيبة" غائبا على تونس"².

طفى على السطح صراع آخر في خضم الصراع اليوسفي البورقيبي عرف بالصراع بين "الحبيب بورقيبة" و"الحبيب ثامر"، وسببه ومؤتمر "دار سليم"، حيث تمكن "الحبيب ثامر" من تكوين جناح سياسي مناوئ للزعيم "بورقيبة" في القاهرة وتجرا على انتقاد "الحبيب بورقيبة" نفسه من خلال الدعوة إلى القيادة الجماعية وتجنب الانفراد بالزعامة وبالرأي الواحد، وذلك وفقا لمرجعيات الحزب المتفق عليها سابقا³.

يمكن القول أن الصراع داخل الحزب الحر الدستوري طفى وظهر علانية اثر انعقاد المؤتمر الرابع للحزب في 18 جانفي 1952 والذي يسمى مؤتمر "سيدي محرز" ويعتبر المؤتمر الرابع بعد مؤتمر البعث قصر هلال ومؤتمر "هيج تريينال" و"مؤتمر دار سليم"، تم في هذا المؤتمر إعلان فرنسا بداية التفاهم مع التونسيين، حيث أصر "صالح بن يوسف" على الاستقلالية التامة وضرورة مواصلة العمل المسلح في مجابهة الاستعمار، لكن بعض العناصر في هذا المؤتمر مثل "الهادي نويرة" تنكر لواقع المؤتمر خاصة مطالب التي جاء بها "صالح بن يوسف"، واشتد الصراع بين "بن يوسف" و"بورقيبة" بين سنتي 1953.1954 وبين القيادة الداخلية والخارجية حول ثلاث نقط هي:-

- 1 ضرورة إدخال عناصر شبابية في الحزب وإعطائهم مسؤوليات .
- 2 ضرورة إحكام النظام في الخارج وتركيز المسؤولية لسير الحركة الوطنية .

¹ المرجع نفسه، ص: 43.

² عروسية التركي، المرجع السابق، ص: 92.

³ خالد عبيد، دلالات الخلاف البورقيبي بالثامري، بمصر وتفاعلاته "1947 – 1950"، مؤسسة التميمي للبحث العلمي. زغوان.

افريل، 2000، د. ط. ص: 142.

3- ضرورة تكوين ميزانية للحركة والحزب والوقوف على الحسابات ومحاسبة كل طرف على الأموال أين صرفت ¹.

إن السبب الحقيقي والمباشر والذي يمكن اعتباره القطرة التي أفاضت الكأس حول الصراع البورقيبي اليوسفي هي المفاوضات التي بدأت بين الحكومتين التونسية والفرنسية ، حيث انعقد لقاء تمهيدي يوم 18 أوت 1954 تم الاتفاق فيه حول مبدأ المفاوضات، وتم افتتاحها في الأيام الأولى من سبتمبر وبالضبط يوم 04 سبتمبر 1954 بين الوفد التونسي الذي يضم "المنجي سليم" و"العزير الجلولي" أما الوفد الفرنسي فيضم المدير العام للشؤون السياسية والاقتصادية بوزارة الشؤون التونسية المغربية ومتفقد للمالية ، وقد اشترطت فرنسا في هذا الاجتماع إيقاف العمل المسلح لمواصلة المفاوضات رغم معارضة جهات تونسية لهذه المفاوضات ، على غرار أعضاء الحزب الدستوري القديم وطلبة الزيتونة، ف وقعت مشادات وصدامات بين الطرفين ، إلا أن هذه المفاوضات استمرت إلى غاية جوان 1955 بين الحكومة الفرنسية والحزب الدستوري الجديد ². فانشقت جماعة عن المفاوضات لمواصلة العمل المسلح بدعم من "صالح بن يوسف" التحقوا بجيش "الطالب العربي" بالجزائر فكان هذا مظهر من مظاهر المشادات والصدامات بين الطرفين.

بموجب هذه المفاوضات وقعت تونس الاتفاقية ³ مع الحكومة الفرنسية ثم عاد "الحبيب بورقيبة" الذي كان زعيم المفاوضات والموقع على الاتفاقية إلى تونس في جوان 1955 بينما كان "صالح بن يوسف" الأمين العام للحزب يرأس وفد تونسي في مؤتمر باندونغباندونيسيا ، وصرح من خلال هذا المؤتمر أن الشعب التونسي يرفض هذه المعاهدة كما عارض هذه المعاهدة عدد من الشخصيات التونسية، فبدأ في تونس تياران يتصارعان إحداهما بزعامة "صالح بن يوسف" يطالب

¹ عروسية التركي، المرجع السابق، ص : 134.

² الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص : 113 - 114

³ نصت هذه الاتفاقية على استرجاع الدولة التونسية لجميع سيادتها الداخلية، غير أنها ابقّت لفرنسا إمكانات كبيرة أمنية وعسكرية و سياسية. انظر: <http://www.4histoire.com/vb/showthread.php?p=133>. تاريخ الدخول : 2014/05/15. على الساعة

: 4.00 صباحا

بالاستقلال التام ووحدة الكفاح في المغرب العربي والتيار الاخر بقيادة "الحبيب بورقيبة" الذي قبل المفاوضات واتفاقية 03 جوان 1955¹.

وهكذا أصبح "صالح بن يوسف" زعيما لحركة المعارضة في تونس فكانت معارضته الأولى للاتفاقيات ثم معارضته لسياسة "الحبيب بورقيبة" في تونس وانعكاساتها على مستقبل البلاد بداية من سنة 1954، والذي تلقى الدعم الكبير من طرف العديد من الجهات من بينها القصر الملكي وطلبة وخرجي الزيتونة والدستوريين القدامى، لأنه ليس من المعقول أن يكون "صالح بن يوسف" زعيما للحركة المعارضة دون أي دعم حيث بالفعل تلقى الدعم من جانب قيادات الحزب الدستوري ذووا الاتجاه القومي المعروف وخاصة "يوسف الرويسي" الذي يعتبر مشاركة "بن يوسف" في حكومة المفاوضات على اساس غير استقلالي خيانة للالتزامات القومية والوطنية².

وهناك صورة في الملحق رقم 05 تؤكد الدعم الملكي لحركة المعارضة التي يقودها "صالح بن يوسف".

كما تلقى "صالح بن يوسف" بدوره زعيم للحركة المعارضة الدعم أيضا من مندوب الحزب الدستوري الجديد في القاهرة "إبراهيم طوبال" الذي وقف إلى جانب "صالح بن يوسف" حيث أصبح الممثل الرسمي للحزب الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي، وكانت لجنة تحرير المغرب العربي قد عقدت اجتماعا في القاهرة بتاريخ 14 أكتوبر 1955 واتخذت القرارات التالية:

- 1 فصل الديوان السياسي للحزب ورئيسه من عضويه اللجنة.
- 2 اعتبار أن السلطات التابعة للديوان السياسي قد انتقلت تلقائيا إلى يد الأمين العام "صالح بن يوسف" والذي بقي محافظا على المبادئ الاستقلالية التي انظم على أساسها الحزب إلى لجنة تحرير المغرب العربي³.
- 3 يبقى ممثل السيد "صالح بن يوسف" "إبراهيم طوبال" والممثل الرسمي للحزب الدستوري في لجنة تحرير المغرب العربي إلى أن يتمكن الحزب من البث في مصير الديوان السياسي الحالي

¹ منصف الشابي، المرجع السابق، ص: 161.

² منجي وارده، المرجع السابق، ص: 513.

³ توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 18.

وتعيين المسؤولين الجدد في سياسة الحزب وذلك في وجود بعيد عن الإرهاب الفرنسي وضغط الديوان السياسي للحزب¹.

إن هذه القرارات كان هدفها حماية الحركة الاستقلالية بالمغرب العربي من التوجه الاستعماري الذي كان يتسرب إلى بعض القادة. وهي تؤمن بأنه لا خلاص لتونس إلا بالعودة إلى كفاحها المستمر في سبيل تحقيق الاستقلال الكامل متضامنة مع شقيقتها الجزائر والمغرب. وهكذا ظهرت الحركة اليوسفيه وبدأت تتبلور باعتبارها تيارا وطنيا وعربيا يقوده الزعيم "صالح بن يوسف"، الذي استطاع أن يقسم الحزب التونسي الحر إلى قسمين: الديوان السياسي بزعامة "الحبيب بورقيبه" و الأمانة العامة بقيادته، وتلقت الحركة اليوسفيه دعما قويا من طرف جبهة التحرير الوطني **F.L.N** الجزائرية بإمضاء "محمد خيضر" ومن حزب الاستقلال المغربي بإمضاء "علاء الفاسي"².

لقد صرح الأمين العام للحزب الحر الدستوري "صالح بن يوسف" في شأن الاستقلال الداخلي والمفاوضات. حيث ان هذا التصريح تناولته العديد من الجرائد والمجلات والتي من أبرزها جريدة الصباح في 5 جانفي 1955 قائلا:

"لقد أعلنت الحكومة الفرنسية الحكم الذاتي للبلاد التونسية منذ خمسة أشهر وذلك أن الشعب التونسي رضي بالحكم الذاتي كمرحلة أولية، والاستقلال التام بعد أن كافح طيلة سبعين عاما في سبيل استرجاع حريته واستقلاله منذ اغتصبتهها فرنسا منه.

إلا أن المفاوضات الجارية بين تونس وفرنسا منذ خمسة أشهر لتدل على أن الحكومة الفرنسية لا تنوي البر بوعودها، بل تحاول بجميع أنواع الضغط، وحتى بالتهديد بقطع المفاوضات وتكتفي بمنح تونس حكما ذاتيا صوريا يقر الوضع الراهن وتجعل من التونسيين وكلاء يحافظون على دوام النظام الاستعماري بتونس³.

إن الحكم الذاتي الذي نقبله لا يكون إلا متجسدا في حكم وطني صرف يدير وحده شؤون البلاد التونسية. إنهم تلزمات الحكم الذاتي الذي نرتضيه في البلاد يشترط علينا:

1 توقف كل الاتفاقيات التي تحد من سيادتنا

¹ المرجع نفسه، ص: 18.

² المرجع نفسه، ص: 19.

³ جريدة الصباح التونسية، 5 جانفي 1955، العدد: 1172، ص: 7.

2 تكون الحكومة التونسية من أعضاء تونسيين (تونس الحكومة) مع نقل كل السلطات إليها بدون قيد أو شرط ، ومع توقيع الاتفاقيات فلا يبقى لأي سلطة فرنسية أن تشارك في الأمن والسهر عليه، وحتى إن كانت سلطات الأمن المدني غير كافية فلا بد أن تعترف لنا فرنسا بإعادة بعث جيشنا الوطني حتى تكون الحكومة التونسية قادرة تحقيق الأمن الكامل والتصفية الناجحة لكل القاطنين بالأراضي التونسية. إن وجود مثل هذا الجيش الوطني التونسي ضروري لقيام حكم ذاتي تونسي.

3 إرجاع كل الاختصاصات التي هي بيد القضاء الفرنسي اليوم إلى يد القضاء التونسي.

4 تصرف الحكومة التونسية تصرف تام في كل الوزارات التابعة لها في شتى الميادين والتخصصات ويصبح الوزراء الذين يديرون وزراء تونسيين

5 الاعتراف للحكومة التونسية بأن تكون حرة في سياستها الاقتصادية التي تكون متجانسة مع نظام البلاد التونسية

إن الحكم الذاتي لن يكون إلا بتوفر ما سبق من الشروط وهي تعتبر الحد الأدنى فإذا ما أنزلنا دونه نكون معارضين لأنفسنا ولشعبنا والشعب التونسي لن يقبل حكم ذاتي يكون خاليا من مستلزمات السيادة التي سبق ذكرها وكل تنازل عنها أو عن بعضها يكون غدرا بالوطن وخيانة لدماء شهدائنا الأبرار.

ويختم تصريحه بقوله "إن الشعب التونسي لفي حذر شديد وإذا نكثت فرنسا وعودها كما بيد وذلك من تعثر المفاوضات بين الحكومتين فليشهد العالم بان فرنسا وحدها المسؤولة عن العواقب الخطرة التي ستنتج حتما عن تنكر حكومتها للعهد والمواثيق¹ .

في خضم هذه التطورات حول الصراع بين الشخصيتين أدرك "الحبيبي هرقويه" إن التسوية السياسية مع الاستعمار الفرنسي هي الحل الأنسب والأسلم لحل القضية التونسية. لذلك لجأ إلى الحل السلمي وعد استعمال المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، يعني إن مركز الثقل السياسي سيكون بكل تأكيد لمصلحة "صالح بن يوسف" وأنصاره الذي يقود الكفاح المسلح. والمتحالف عضويا مع الثورة الجزائرية².

¹ جريدة الصباح، 5 جانفي 1955، العدد : 1172، ص : 7 .

² توفيق المدني، المرجع السابق، ص : 19.

إن المتتبع للحركة الوطنية التونسية والدارس لطبيعة الصراع الذي دار داخل الحزب الدستوري التونسي بين الأمانة العامة بزعامه "صالح بن يوسف" والديوان السياسي بزعامه "الحبيب بورقيبة"، يرى أنه يمكن تقسيمه تاريخيا إلى قسمين أو مرحلتين المرحلة الأولى التي تعتبر بداية الصراع والتي ظهرت مؤشراتهما بعد الحرب العالمية الثانية وصولا إلى سنة 1955 حيث بدأت عملية المفاوضات بين الحكومة التونسية وسلطة الحماية الفرنسية والمرحلة الثانية التي تعتبر ذروة الصراع بين الطرفين والتي بدأت من سنة 1955 تاريخ بداية المفاوضات إلى غاية اغتيال الزعيم "صالح بن يوسف" في فرانكفورت الألمانية في 12 أوت 1961 كما سيأتي حديثنا عليها فيما بعد .

① المرحلة الأولى : بداية الصراع بين الشخصيتين .

لقد اعتبر الزعيم "صالح بن يوسف" المفاوضات بين الحكومة الفرنسية وسلطة الحماية الفرنسية خطوة بدورها ترجع تونس إلى الوراء بعدما سار أشواط وأشواط تناضل في جميع الجبهات السياسية والعسكرية والثقافية والدينية من أجل نيل الاستقلال التام والذي لديه النكهة التونسية الخالصة .

كما اعتبر "بن يوسف" وهذا بالرجوع إلى دوره الفعال في الجانب السياسي وتعبئته العسكرية للجماهير نحو الاستقلال، أن هذه المفاوضات تعرقل مسار الحرية والاستقلال، وقد اصدر "صالح بن يوسف" تصريحاً من باندونغباندونسيا وهو يتحدث عن الشعب التونسي " إن الشعب التونسي يرى اليوم بعنف على الدعاية المنظمة والموجهة التي قام بها الوزراء المفاوضين التونسيين في سائر البلاد التونسية لاغتصاب الشعب ... إن الشعب التونسي يرفض الاتفاقيات عازم على إحباطها بجميع ما لديه من وسائل ... " ¹ .

بقي "الحبيب بورقيبة" مصرا على موقفه من المفاوضات ووقع على الاتفاقية التي تقضي بالاستقلال الذاتي لتونس، وكان من تصريحاته في جريدة "فرانس ابسيفتور" "أنا راضي بما قدمته لتونس في هذه المفاوضات وراضي بهذا الاستقلال الذاتي، وحاول إغراء "صالح بن يوسف" وإقناعه بضرورة المفاوضات، لأن "بورقيبة" كان يدرك تمام الإدراك أن "صالح بن يوسف" يشكل خطرا كبيرا له فقد قام بإرسال مجموعة من الأعضاء البارزين في الحزب الذين يثق فيهم وكان على رأسهم "المنجي سليم" لإقناع "صالح بن يوسف" وكان جواب بن يوسف الصريح بقوله " انت تهددني يا منجي بما

¹ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص : 114 .

سيفعله بورقيبة .. "وكان يقنعه بالعدول عن فكرة الاستقلال الداخلي والتراجع عن رأيه كما هاتفه وطلب منه ذلك بنفسه¹ .

قام "الحبيب بورقيبة" بمحاولة عزله مرتان من الحزب ومن الأمانة العامة له، فكانت المرة الأولى بعزله عن أنصاره وذلك بتوجيه دعوة لأنصار "صالح بن يوسف" اللاجئين في المشرق وطلب منهم العودة إلى أرض الوطن ونجح "بورقيبة" في استمالة البعض منهم، أما المرة الثانية فكانت بعزله تماما من الأمانة العامة للحزب في أكتوبر 1955² .

كان "الحبيب بورقيبة" رئيس الحزب الدستوري الحر الجديد بعد استقالة "محمود المطايري" يريد السير بالبلاد في طريق العلمانية بخطى ثابتة وبشكل صريح، وكان "صالح بن يوسف" الأمين العام للحزب اقل ميلا منه إلى العلمانية وكان يساير "الحبيب بورقيبة" في بعض المسائل الخاصة بهذا الاتجاه . ولما قامت المفاوضات وبرز "الحبيب بورقيبة" وحده في الواجهة السياسية قرر "بن يوسف" الخروج على "بورقيبة" وبدا يتخوف من بعض تصرفات رئيس الحزب³ .

ولما دعى "الحبيب بورقيبة" قادة العمل العسكري المعروفين "بالفلاقة" لإلقاء السلاح وترك المقاومة عارضه "بن يوسف" في ذلك ورأى بدوره البطولي استمرار المقاومة ة وترك التفاهم مع الفرنسيين، واستمر "بورقيبة" في طريقه ولم يبالي بآراء "بن يوسف" الذي اخذ يتهم "بورقيبة" بالعلمانية ومحاربة الإسلام واللغة العربية والهوية الوطنية وغيرها من الثوابت الوطنية⁴ .

إن التوقيع على اتفاقية الاستقلال الذاتي شكلت بدورها الوتر الذي قام عليه الصراع بين الزعيمين . ورغم وجود الثورين والمعارضة وعلى رأسهم "صالح بن يوسف" الذين رفضوا رفضا قاطعا هذه الاتفاقية وبنودها إلا انه في الأخير تم تنفيذها وصار "بورقيبة" رئيسا للوزارة التونسية وعندما منحت مراكش الاستقلال التام سنة 1955 طالب التونسيين بنفس الحقوق التي حصل عليها إخوانهم المراكشيين، وبعد مفاوضات طويلة بين الفرنسيين والتونسيين حصلت تونس على سيادتها في 20 مارس 1956⁵ .

¹ منصف الشابي، المرجع السابق، ص ص : 192 – 195 .

² فتحي الذيب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل ، مصر . ط 2، 1990، ص : 143 .

³ محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، التاريخ المعاصر لبلاد المغرب ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، دمشق ، عمان . ط 2 . 1996 . ص ص : 205 – 206 .

⁴ المرجع نفسه، ص : 206 .

⁵ رأفت الشيخ ، تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، د م ن . 1996، ص : 145 .

② المرحلة الثانية (ذروة الصراع بين الزعيمين) .

يمكن اعتبار عودة "صالح بن يوسف" إلى تونس في سبتمبر 1955 سببا من أسباب الصراع بينه وبين "الحبيب بورقيبة"، حيث عاد إلى تونس تحت استقبال جماهيري كبير من التونسيين وفي مقدمتهم "الحبيب بورقيبة" نفسه وهناك صورة في الملحق 05 تدل على ذلك الاستقبال .
لقد كانت لعودة "صالح بن يوسف" إلى تونس في هذا الوقت بالذات راجع إلى عدت اعتبارات نذكر أهمها :

- 1/ العمل على عدم إمضاء الاتفاقيات : حيث أيدا اغلب قيادي الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد وكان هولاء يتزعمه م "الحبيب بورقيبة" بنود هذه الاتفاقيات واعتبروها خطوة إلى الامام ، في حين عارض القسم الثاني من قادة الحزب وعلى رأسهم الامانة العامة للحزب بقيادة "بن يوسف" واعتبروها خطوة إلى الوراء، وهي مجرد مناورة من المناورات الاستعمارية تسعى إلى إطالة عمر نظام الحماية الذي بدا ينفض أنفاسه الأخيرة في ظل انسحاب فرنسا من الهند الصينية¹.
- 2/ أحداث الشمال القسنطيني في الجزائر في 20 أوت 1955²: التي جعلت منه دافع لكي ينظم المقاومة المسلحة في تونس، حيث كانت هذه الأحداث بداية انطلاق العمل المسلح في تونس والالتفاف حول المقاومة المسلحة بقيادة "صالح بن يوسف" .
- 3/ تردي الأوضاع الداخلية والخارجية لتونس : كما أكد بوعلام السايح " رئيس المجلس الدستوري ووزير خارجية للجزائر سابقا " إن علاقة تونس وفرنسا مع وجود قوات فرنسية في بترت وذلك لمساعدتها في حربها ضد جبهة التحرير الجزائرية، هذا بدوره شكل أزمات كبيرة خاصة وأن الحركة اليوسفية تحت قيادة الزعيم "صالح بن يوسف" كانت تنادي بجبهة مغاربية مشتركة في الكفاح المسلح ولها موقف وطني قومي عربي³ .

¹ مجلة مسارات : مجلة فصلية متخصصة تهتم بالدراسات الفلسفية والانسانية. على الموقع :

masarat.tn.net/magazin/?p=90 تاريخ الدخول : 2014/04/15 .

² محمد العربي الزبيري ، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ج 2 . 1999 .، ص ص : 37 - 38 .

³ بوعلام بالسايح ، زمن بورقيبة، المرجع السابق، اوت 2006 .

كما أكد "علي المحجوبي" أن هناك جيشان عدوان جيش التحرير الجزائري والجيش الفرنسي في تونس، والتزمت تونس بعدم تقديم السلاح للثورة الجزائرية بالرجوع إلى الاتفاقية، إلا أن تونس سمحت بمرور السلاح المصري من أرضها وحتى السلاح الصيني¹.

اتخذ الصراع اليوسفي البورقي في هذه المرحلة بالذات شكلين أساسيين وهما الصراع السلمي السياسي والصراع الدموي لتصفية الحسابات بين الزعيمين لأن تونس لا تتسع لزعيمين وإنما تتسع لزعيم واحد والبقاء للأقوى .

أ/ الصراع السلمي السياسي :

إن المبادرة التي قام بها "بن يوسف" فور رجوعه إلى تونس قادما من مدينة روما الإيطالية والتصريحات التي صرحها للصحافة التونسية حول الاتفاقيات²، محاولا إبراز نقائصها، ودعى التونسيين إلى رفضها ومواصلة الكفاح المسلح حتى الحصول على الاستقلال التام، جعلت "بورقية" يحمل غلا كبير على الزعيم "بن يوسف" خاصة وأن "بورقية" هو الذي بادر بالمفاوضات وبتوقيع الاتفاقية مع فرنسا .

عمل الأمين العام للحزب الدستوري الجديد على تنظيم المقاومة المسلحة وتنظيم الصفوف المعارضة لهذه الاتفاقية، فقام بعدة جولات داخل البلاد التونسية وتمكن من تعبئة شرائح وفئات كبيرة من الشعب التونسي ضد "الحبيب بورقية" حيث قام بزيارات عديدة إلى عدة مدن تونسية من بينها مدينة الكاف وسليانة، أين أعرب ممثلوا القوى السياسية هناك أمثال "عبد القادر زروق" عن استعداداتهم لمواصلة كفاحهم المسلح ضد سلطة الحماية والاستعمار الفرنسي. كما قام بزيارة إلى منطقة بوزلفة وكذلك اتصل بأهالي القصرين وقفصة وقمودة حيث استقبل استقبالا جماهيريا كبيرا ورأوا فيه القائد الكفء الذي يستحق الوقف إلى جانبه³.

ويعبر "بن يوسف" عن موقفه من الاتفاقية من جامع الزيتونة عقب صلاة الجمعة في 7 أكتوبر 1955 بقوله : " أحييكم من هذا المسجد الإسلامي العظيم تحية يحملها لكم من أعماق قلبي قد حملني إياها إخوانك العرب والمسلمين يريدون منكم إن تكافحوا وأن تضحوا لتحرير هذه الأرض التونسية تحريرا كاملا شاملا ويتحرر المغرب العربي كله من ربة الاستعمار ... حتى تبقى أرض المغرب

¹ علي المحجوبي، زمن بورقية، المرجع نفسه، اوت 2006 .

² كما صرح بن يوسف قائلا : " إني راجع إلى بلدي لأتابع الكفاح حتى نظفر بالاستقلال " جريدة الصباح، 13 ديسمبر 1955 العدد 1142، ص : 7 .

³ السوفي عمار، عواصف الاستقلال، المرجع السابق، ص ص : 123- 124 .

عربية مسلمة... ويهيبون بكم أن تشدوا بعضكم بعضا كالبنيان المرصوص وتقفوا وقفة واحدة متراسة لتحطيم هذه الاتفاقية التي اعترفت للاستعمار بما لم تعترف به معاهدة الحماية " ¹ .

لقد نجح "بن يوسف" في تكوين جبهة شعبية تدين بالولاء له، من جهته هذا العمل جعل من "الحبيب بورقيبة" يقوم بجولات داخل البلاد يدافع عن الاتفاقية ويعارض التدخلات التي شنها الأمين العام للحزب الدستوري الجديد مبينا الإمكانيات التي تتيحها هذه الاتفاقيات لمواصلة الكفاح المسلح ليس في تونس فحسب بل أيضا في كل من الجزائر والمغرب، مؤكدا أنها مرحلة انتقالية للمقاومة في هذا الوقت بالذات، وحاول "الحبيب بورقيبة" اغراء "بن يوسف" وإدخاله في الحكومة إلا أن هذا الأخير رفض بنود الاتفاقية وأكد أنها مضرّة بمصلحة الوطن وقضية تحرير بلدان المغرب العربي، إلا أنه بعد الاجتماع الذي لم يصل لنتيجة بينه وبين أعضاء الحزب، ليجتمع "بورقيبة" في الأخير مع الحكومة الفرنسية يوم 12-13 أكتوبر سنة 1955 وقرروا مايلي :

- عقد مؤتمر نظامي للحزب الدستوري يوم 15 نوفمبر 1955 والذي سيكون مؤتمر صفاقس ويغيب "صالح بن يوسف" عن هذا المؤتمر وسيكون الحديث عليه لاحقا بشيء من التفصيل .
- تجريد "صالح بن يوسف" من الأمانة العامة للحزب ² .

أعلن "بن يوسف" بطلانه لهذا القرار بالكامل مؤكدا على استمراريته في الأمانة العامة للحزب، وقام "بن يوسف" بدوره بفصل "بورقيبة" والديوان السياسي للحزب. ونظرا لهذه القرارات نزل أنصار "بن يوسف" إلى الشوارع وقاموا بمظاهرات شعبية تندد بقرار "بورقيبة" وتطالب بسقوط الاتفاقيات والمطالبة بالاستقلال التام، بالإضافة إلى الرسائل والعرائض الممضاة من آلاف التونسيين تندد بهذه الأعمال ³ .

منذ 30 أكتوبر 1955 أسس بن يوسف مقرا للأمانة العامة للحزب 23 كيلو متر نـجـ الجزيرة بتونس العاصمة، الذي أصبح مكانا عاما يجتمع فيه مناصروه وأتباعه، وبعد أن اتضحت صورة الصراع داخل الحزب الدستوري بين مؤيدين ومعارضين للاتفاقية، دخلت البلاد موجة كبيرة من الاغتيالات وتصفية حسابات وكان منهم سائق سيارة "بن يوسف"، حيث بعد هذه الحادثة التف حول "صالح بن يوسف" الكثير من الشعب والفروع وخاصة التيار العربي الوحدوي وأصبح "بن

¹ جريد الصباح، 8 أكتوبر 1955، العدد : 1164، ص : 6

² منصف الشابي، المرجع السابق، ص : 197-198.

³ المرجع نفسه، ص : 198.

يوسف" هو القائد للمعارضة ضد الدستور التونسي وضد النخبة المتفرنسة، وأصبح يشكل خطرا كبيرا على بورقيبة وأنصاره ¹ .

تأثر الزعيم "صالح بن يوسف" بالزعيم التاريخي لمصر العربية وهو "جمال عبد الناصر" خاصة وان مصر التي عرفها "بورقيبة" ليست هي مصر التي عرفها "صالح بن يوسف"، وكان يحمل شعار "جمال عبد الناصر" الذي يقول " ارفع راسك ياخي فقد مضى عهد الاستبداد" ² .

انعقد مؤتمر صفاقس أيام 15 – 18 نوفمبر 1955 للبحث في تفاصيل المشاكل التي وقع فيها زعماء الحزب بزعامة "بورقيبة" رئيس الديوان السياسي من جهة و"بن يوسف" زعيم الأمانة العامة من جهة اخرى، حيث كانت الظروف التي انعقد فيها المؤتمر اقل ما يقال عنها ألها ظروف غامضة جدا، فقد وجهت الدعوة إلى "صالح بن يوسف" إلا انه اشترط استدعاء جميع الشعب والتنظيمات المطوية تحت لواء الأمانة العامة للحزب وطلب تأجيل المؤتمر أسبوع فرفض أنصار "بورقيبة" طلبه خوفا من أن يصبح هذا مشكل في الأواسط الشعبية ³ .

وكان نص الدعوة الذي وجه إلى الأستاذ "صالح بن يوسف" في خصوص حضور أشغال المؤتمر ما يلي " الأستاذ صالح بن يوسف 5 هج لابلاصمنفلوري. حسب قرار صادر من مؤتمر الحزب على الساعة التاسعة إلا ربع في أول جلسة قانونية له أتشرف بان ابلغ لحضرتكم دعوة لحضور المؤتمر في اقرب وقت مناسب لكم ، لبسط وجهة نظركم في الاتفاقيات والسياسة المتبعة من طرف الحزب" ⁴ . أراد "بورقيبة" من خلال إرسال هذه البرقية إخراج "بن يوسف" ووضعه في مأزق يتمثل في أمرين إحداهما مر وهما حضور المؤتمر رغما عليه وضرورة تشريع وثيقة الاتفاقيات وعدم ظهوره وذلك بداع الفتنة والشلخ في صفوف الحركة الوطنية .

وأخير لم يحضر "بن يوسف" أشغال المؤتمر ولم يحسم الخلاف البورقيبي اليوسفي، ونجم عليه استقطاب خطير هدد الوحدة الوطنية واشتعل ل نيران الحقد والفتنة الداخلية، حيث أطلقت عليه المصادر البورقيبة بالفتنة اليوسفية ويطلق عليها المؤرخون الفتنة اليوسفية البورقيبة .

¹ عروسية التركي، المرجع السابق، ص : 239.

² معرض عبد الناصر والحلم شذرات من جيل مشروع النهضة العربية ، مجلة العربي ، مجلة شهرية للثقافة العلمية ، تصدر من وزارة

الاعلام بدولة الكويت العربية ، يناير 2012 ، ص : 152 .

³ توفيق المدني، المعارضة التونسية، المرجع السابق، ص : 19.

⁴ ادريس الرشيد، طريق الجمهورية، د د ن . تونس ، د س ط ، ص : 447.

لم يبق "صالح بن يوسف" مكتوف الأيدي فقام في نفس السنة والوقت الذي كان يعقد فيه المؤتمر ودعا إلى اجتماع الذي حضره 30 ألف مواطن رافعين لافتات تندد بالاتفاقيات وتساند نضال الجزائر، كما قام مجموعة من المقاتلين بأعمال فدائية في المناطق المتاخمة للحدود التونسية الجزائرية، إلا أن الحكومة الفرنسية لما رأت أن الكفة مالت ليوسفين أصدرت قرار مشترك بينها وبين الحزب الدستوري الجديد وحكومة "الطاهر بن عمار" بإلقاء القبض على "بن يوسف" الذي علم بذلك عن طريق أحد أعوانه وذلك يوم 26 جانفي 1956 وتمكن من الهرب إلى طرابلس فقامت الحكومة الفرنسية بشن حملة واسعة واعتقلت خلالها العديد من أصدقاء "صالح بن يوسف" في الفترة الممتدة بين 1956 – 1958¹.

نجم عن هذا الفتنة انقسام الدستوريين إلى قسمين كما تطرقنا، وأعلنت العديد من الشعب الدستورية التابعة للحزب ولائها "لصالح بن يوسف" ورأت أن الحزب انحرف عن مساره وخطه العربي والقومي بقيادة "بورقية"، كما أعلن في نفس الوقت بعض القادة البورقيين انتقادهم "للحبيب بورقية"².

ولكن آثار هذه الفتنة وانعكاساتها التي سنتطرق إليها في المبحث الأخير من الدراسة، لم تقتصر على معركة الولاءات فحسب، بل سرعان ما انقلبت إلى معارك دموية ذهب ضحيتها العديد من الأشخاص الأبرياء والذين ليست لديهم أي صلة بهذا الصراع .

وعلى الرغم من أن "بن يوسف" حاول أن يحسم الصراع مع "بورقية" على أرضية سياسية من خلال عقد مؤتمر تاريخي للحزب حول الاتفاقيات إلا أن "بورقية" لجئ إلى المواجهة العسكرية لأنه هزمته الشعارات العربية المنادية بالعروبة والإسلام المتجذر في الشعب التونسي آنذاك، والتي استقطبته الحركة اليوسيفية الحاملة لواء القيادة وحركة المقاومة المسلحة في تونس، ومن بين هؤلاء القادة "الطاهر الأسود" باعتباره القائد العام للجيش التحرير التونسي ومجموعات فدائية أخرى تتألف من عناصر تونسية وجزائرية من أبرزها مجموعة "رضا بن عمار" في العاصمة ومجموعة عبد "للطيف

¹ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص : 152 .

² الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص : 152.

زهير" بالساحل التونسي والتي سيتم الحديث عليها بشيء من التفصيل في مرحلة التصفية أو الصراع الدموي¹ .

ب / الصراع الدموي .

إثر انعقاد مؤتمر صفاقس برزت بوادر الصدام المسلح بين الزعيمين فشكل بورقيبة تيارا زعامي بقيادته ينتمي أعضائه إلى مدينة المنستير والواردنين، وكانت هذه التشكيلة التي تعتبر وبالنظر إلى الأدوار التي تقوم بها حرس "بورقيبة" الخاص وترافقه إلى مختلف المدن التونسية التي كان "بورقيبة" يخطب فيها الخطابات التعبوية للشعب التونسي بعد انعقاد مؤتمر صفاقس مباشرة² .

كما كون مناصرو"صالح بن يوسف" تنظيما عسكريا أطلق عليه تسمية جيش التحرير الوطني، وذلك قبل فرار "صالح بن يوسف" إلى طرابلس، وكان جلهم من المناضلين الوطنيين الذي اكتسبوا خبرة عسكرية من خلال المواجهات العسكرية مع الاستعمار الفرنسيين وقد ضم جيش التحرير احدي عشرة قيادة تمتد في مختلف المناطق التونسية ومن بينها :

1 فرقة "رضا بن عمار" مجال نشاطها تونس العاصمة

2 فرقة "الطيب الزلاق" و"الطاهر بالأخضر" مجال نشاطها سوق الأربعاء وغار الدماء ومناطق الخمير .

3 فرقة "الهادي لسود" و"حسين بن عبد اللطيف" مجال نشاطها الروحية والكاف والقصرين كما هي موضحة قيادة الجيش في الملحق رقم 08 .

4 فرقة "الزين بن لسود" مجال نشاطها أقصى الجنوب التونسي ويشير احد الباحثين التونسيين إن الموجهات العسكرية بين مناصري "بورقيبة" ومناصري "بن يوسف" عرفت ثلاثة مواجهات المرحلة الأولى من 1956 إلى مارس من نفس السنة ومواجهات مارس في خضم انتخاب المجلس القومي التأسيسي في 25 مارس 1956 ومواجهات شهر ماي 1956³ .

¹ محسن الخمري، الحركة اليوسيفية، مجالها وحدودها " 1955 – 1961 " كلية 9 افريل، تونس، شهادة التعمق في البحث . 2006 ، ص : 34 .

² عمار السوفي، المرجع السابق، ص : 183.

1M'Hamed oualdi . " l'orages des indépendances . Salah ben Youssef et les youssiffistes . p. 1998 – 1999 . paris . mémoire histoire université " 1955 – 1956 . entre . en Tunisie .

بدا كل طرف يعد العدة و يتربص بالطرف الآخر وهم في غنن عليها، كل هذه المشاكل تحولت في الأخير إلى تصفية حسابات لديها أبعاد كبيرة على مسار الحركة الوطنية التونسية وعلى مسار مستقبل تونس بعد الاستقلال والنضال السياسي والعسكري ليقتل "صالح بن يوسف" في الأخير وستطرق إلى مقتله في انعكاسات الصراع في ظروف اقل مائقال عليها أنهاغامضة لتنتهي مسيرة الزعيم التاريخي لتونس بالغدر والخيانة .

③ المبحث الثالث : المواقف الداخلية والخارجية من الصراع .

① المواقف الداخلية (التونسية) .

لقد انقسم الشعب التونسي بدوره إلى قسمين قسم مؤيد لاتفاقيات الحكم الذاتي بزعامة "الحبيب بورقيبة" وقسم مؤيد للشق الثاني بزعامة "صالح بن يوسف" ومواصلة الكفاح المسلح .
أ - القسم الأول :

أيد معظم الشعب التونسي الحبيب بورقيبة في خطواته الأولى على إمضاء الاتفاقيات مع فرنسا وذلك من اجل تحقيق الاستقلال الداخلي وعلى رأسهم الأمين العام للاتحاد العام للشغل "أحمد بن صالح"، بالإضافة إلى بعض الشخصيات التاريخية السياسية الوطنية الأخرى مثل "الباهي الادغم" وغيرهم من النخبة المتفرنسة¹ .

حيث أيد معظم الشارع التونسي والرأي العام التونسي هذه الخطوة، واعتبرها حقن للدماء التونسيين كما اعتبرها خطوة أولية للتحقيق الاستقلال التام على رأي "الحبيب بورقيبة".

ب - القسم الثاني :

هذا الشق بدوره أيد الزعيم "صالح بن يوسف" في رفضه للاتفاقيات ومواصلة الكفاح المسلح والمطالبة بالاستقلال التام وعلى رأسهم طبقة الفلاحين المتمثلة في الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والحزب الشيوعي وجامع الزيتونة وقصر الباي الملكي، بالإضافة إلى عناصر كبيرة من الحزب الحر الدستوري القديم² .

كما أعلنت بعض الشعب الدستورية مقاطعتها للمكتب السياسي ونشرت برقيات في الصحف تحمل أعداد الممضين عليها تندد بالاتفاقيات، في حين قررت بعض الشعب الأخرى وعدد

¹ محمد مالكي، الحركة الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية ، لبنان، ط 2، 1994، ص : 366.

² توفيق المدني، المعارضة التونسية، المرجع السابق، ص : 14 .

كبير من المقاتلين العودة إلى الكفاح المسلح، بالإضافة إلى الرسائل والعرائض الممضاة من آلاف الشعب التونسي كلها تقف إلى جانب صالح بن يوسف .

② موقف بلدان المغرب العربي .

إن قرار عزل "صالح بن يوسف" من الأمانة العامة للحزب الدستوري الجديد ، تمخض عليها الأحزاب الوطنية الثالثة المتمثلة في لجنة تحرير المغرب العربي في 15 أكتوبر 1956 عقدت اجتماعا لها بالقاهرة والتي كانت مربطاً للحركات التحررية المغاربية تقرر عنه ما يلي:

1 فصل "الحبيب بورقيبة" وأعضاء المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد من عضوية اللجنة.

2 - نقل كل صلاحيات المكتب السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي للزعيم السياسي "صالح بن يوسف" ¹ .

④ المبحث الرابع : نتائج الصراع وانعكاساته على مستقبل البلاد التونسية

لقد تمخض عن الصراع بين الزعيمين العديد من الانعكاسات على المستوى الداخلي وعلى مستقبل تونس نفسها، حيث اخذ هذا الصراع بين الزعيمين التاريخيين لتونس وانحرف على مساره السياسي واخذ طابع العداء بين الشخصيتين وأصبح مسألة تصفية حسابات واغتيالات ومشكلة وقت فحسب فكل طرف أصبح يتربص بأخيه ونجم عن هذا الصراع جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :

- منح تونس الاستقلال الذاتي خاصة بعدما رجحت الكفة لليوسفيين واشتدت العمليات العسكرية والتحاق بعض الزعماء والقادة المواليين "لصالح بن يوسف" بالثورة الجزائرية، حيث أدى هذا العمل إلى تخوف فرنسا من توحيد الثورة بين تونس والجزائر ²، وتخوف "بورقيبة" من امتداد الثورة الجزائرية إلى تونس نفسها، بالإضافة إلى إن هذا العمل يوحد النضال بين البلدين في ظل العمل الوحدوي للشعوب المغاربية .

- عزل النظام التونسي بعد الاستقلال عن العالم العربي إذ أراد نظام "بورقيبة" بعد الاستقلال الذاتي إدارة ظهره عن المشرق العربي، وعمق القطيعة مع الأمة العربية، وذلك بسبب لجوء

¹ منصف الشابي، المرجع السابق، ص : 202

² الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص : 150 – 153 .

- "صالح بن يوسف" الى الجانب الروحي والوطني لتونس ولجؤته إلى القاهرة وبداية تدبيره من هناك نية الإطاحة بنظام "الحبيب بورقيبة" .
- انهزام الحركة اليوسفية سياسيا وعسكريا من طرف نظام "الحبيب بورقيبة" المدعوم من طرف الاستعمار الفرنسي، لان فرنسا في هذه المرحلة كانت تدعم الآراء والقرارات التي يراها "بورقيبة" مناسبة خاصة في ما يخص أنصار "صالح بن يوسف" وحركته اليوسفية¹ .
 - كما سخرت فرنسا كل إمكانياتها العسكرية لفائدة "الحبيب بورقيبة" ولقد أكد هذا "علي بن سالم" المناضل من أنصار الحركة اليوسفية بقوله " لا بد من إظهار بطاقة الاشتراك مع الحبيب بورقيبة " **présent la carte Bourguiba** . فإن لم تحصل على بطاقة "الحبيب بورقيبة" لا يمكن لأي شخص العبور إلى أي منطقة من التراب التونسي² . حيث كانت بالفعل في هذه المرحلة خاصة بعد توقيع الاتفاقية جميع قرارات "بورقيبة" مدعومة من طرف سلطة الحماية الفرنسية³ .
 - دخول تونس مرحلة جديدة وهي مرحلة الحزب الواحد ومنع أي تواجد للأحزاب والحياة الديمقراطية داخل الشارع التونسي .
 - تواصلت سلسلة وأنشطة الاغتيالات للحركة اليوسفية حيث يؤكد الدكتور "سالم الأبيض" المتخصص في علم الاجتماع إن أكثر من 60 بل 100 شخص حكم عليهم بالإعدام وتعتبر منطقة "سابط الظلام" وهي ومنطقة توجد في المدينة القديمة في تونس العاصمة قرب القصبة ويوجد في هذه المدينة مقبرة مسكوت عليها إلى يوم الناس هذا فيها عشرات بل مئات القتلى من اليوسفيين مدفونين في هذه المقبرة⁴ .
 - وصلت سلسلة الاغتيالات إلى القيادات العليا للطرفين وأكد التاريخ ظروف اغتيال الزعيم "صالح بن يوسف" في مدينة فرانكفورت الألمانية من قبل مجموعة تضم "البشير زرق العيون" و"الصادق بن حمزة" و"الطالب بن تربوط"، وكان "البشير زرق العيون" المدبر الفعلي لعملية اغتيال صالح بن يوسف، وكان اليد اليمنى "للحبيب بورقيبة"، وهذا كله باعتراف زوجة

¹ محمد السعيد عقيب ،محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية المغاربية، جامعة الوادي ، ألفت إلى طلبة الماستر ، تخصص تاريخ المغرب

العربي الحديث والمعاصر ، شهري ديسمبر وجانفي 2013-2014 .

² علي بن سالم ، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان : 2012.

³ محمد السعيد عقيب ،المرجع السابق، شهري ديسمبر وجانفي 2013-2014

⁴ سالم الأبيض، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان : 2012

الزعيم الراحل "صالح بن يوسف" السيدة "صوفية بن يوسف"، وأكدت انه في ألمانيا جاءته مكالمة هاتفية تؤكد أن "البشير زرق العيون" الذي كان يعيش في ألمانيا وهو ابن أخت احد أقرباء "صالح بن يوسف" وألح بكثرة على مجي "صالح بن يوسف" للإعداد لقاء لتسوية الحسابات بينه وبين "بورقية" وقد وافق الزعيم "صالح بن يوسف" على ذلك اللقاء الذي اتفقوا فيه على أن يكون في الساعة السادسة مساء في فندق "لروايال" مقابل محطة القطر في فرانكفورت الألمانية¹.

ويؤكد عمار السوفي أن "صالح بن يوسف" حذر من طرف الزعيم التاريخي لمصر وهو "جمال عبد الناصر" حتى انه في البداية سلب منه جواز سفره لكي لا يسافر وقال له إن هناك عملية تدبر لك في الخفاء². ويرجع تحذير "جمال عبد الناصر" "لصالح بن يوسف" بعض المؤرخين أنه كان يقود دولة والدولة كانت لها مخبرات والمخابرات كانت لها شيء من المعلومات الصحيحة حول ما كان يدبر "لصالح بن يوسف" في الخفاء حيث بالفعل صدقت نبؤت "جمال عبد الناصر" في تلك المرحلة³. كما أكد الدكتور "عميرة علي" أن العملية كانت مدبر من طرف عناصر مبعوثين من وزارة الداخلية وكان المشرف الاول عن هذه العملية والمقصود بها القتل هو "البشير زرق العيون" وهو مناضل من مدينة جربة ويعرف "صالح بن يوسف" كثيرا وكان "زرق العيون" يعرفه جميع المناضلين وكان اليد اليمنى "للحبيب بورقية"⁴.

وأثناء تواجد "بن يوسف" في نزل "لورايال" في فرانكفورت في ألمانيا وهو في أحد غرف النزل ابن اعطي له موعد اللقاء قتل من الخلف ولم يرى من الذي قتله، ولم تأخر في التزل الى زوجته "صوفية" التي تركها في إحدى المقاهي بالقرب من التزل ذهبت إلى التزل وقالت لإدارة التزل إن زوجها هنا حيث قال لها إحدى موظفي الاستقبال اذهبي بنفسك، حيث وجدت جماعة يتكلمون اللغة العربية حيث قالت لهم يا إخوتيا أحدكم يأتي معي وهي تظن أنهم تونسيين في التزل. صعد معها أحدهم وفتحت الباب وصرخت بأعلى صوتها ونادت الحماية ونقل إلى المستشفى وبقي إلى غاية منتصف الليل، وجاءت طبيبة للسيدة "صوفية" تتكلم اللغة الفرنسية وقالت لها "كوني شجاعة لقد مات " بالفرنسية وكان هذا في 12 أوت سنة 1961، وأخذته إلى مصر واستقبلها "الأمير عبد الكريم

¹ صوفية بن يوسف، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع نفسه، جوان : 2012

² عمار السوفي، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع نفسه، جوان : 2012

³ سالم الابيض، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان 2012. محمود شاعر، المرجع السابق، ص : 205

⁴ عميرة علي وحميدة بن علي بن عمارة، المرجع السابق، جوان 2012. مسعود الخوند، المرجع السابق، ص ص : 140 – 141.

الخطابي" واخذ إلى إحدى الجوامع بالقاهرة بات ليلته في المسجد ثم في الصباح شيعة جنازته وكل شخص يسمع بالجنازة يذهب في أثرها حتى وان لم يعرف مسيرة المناضل "صالح بن يوسف" حتى وصل إلى مقبرة الشهداء وكتب في "القبر عاش مجاهدا ومات شهيدا"¹.

5 المبحث الخامس : مصير الحركة اليوسفية بعد اغتيال قائدها

لقد انهزمت الحركة اليوسفية في المواجهات السياسية والعسكرية مع النظام البورقيي المدعوم إلى ابعد الحدود من فرنسا، وعلى الرغم مما أصاب فرنسا من انهاك وتقهرق بسبب تنامي المقاومة المسلحة في تونس وتجدد الثورة الجزائرية حتى داخل تونس .

حمل "الحبيب بورقيبة" على عاتقه التفاوض مع سلطة الحماية من اجل تسوية القضية الوطنية وكان من نتائج التفاوض الاستقلال الجزئي لتونس، في أنصار "بن يوسف" يرون فكرة الاستقلال الكامل، والذيعني تشديد النضال المسلح ضد الجيش الفرنسي ومواصلة العمليات العسكرية إلى جانب الجزائر، وتوحيد كامل المغرب العربي تحت راية العروبة، والتي لم تكن مسموحة آنذاك من طرف فرنسا، وكان همها أن يبقى المغرب العربي مهمشا تابعا حتى ولو من خلال التعامل مع النخب الحاكمة الجديدة التي أنشأت علاقة قوية مع المراكز الغربية الأوروبية وخاصة الفرنسية².

كانت الحركة اليوسفية عاجزة عن بلورة المشروع الفكري الثقافي الذي يساهم في تأسيس خط قومي وحدوي، وبالتالي يمكن اعتبارها قوة سياسية منظمة وفاعلة قادرة أن تؤثر في مستقبل تونس السياسي، وظلت الحركة اليوسفية تتخبط في الخيبات والاحباطات، وفي نهاية الأمر أن هذه الحركة تعتبر حركة رفض أكثر منها بناء للدولة، فهي حركة تلتف إلى الماضي إلى الماضي أكثر مما تنظر إلى المستقبل، ولكن الذي يفسر فشلها خاصة ليست طبيعتها التي تتلاءم أكثر في طبيعة المجتمع وإنما عوامل خارجية كانت حاسمة في تحديد المصير³، خاصة مساندة سلطة الحماية والمتمثلة في فرنسا كل الآراء والتوجهات التي كان يراها الزعيم "الحبيب بورقيبة"⁴.

ومع هزيمة المعارضة اليوسفية دخلت تونس مرحلة جديدة اتسمت بهيمنة نظام الحزب الواحد والرأي الواحد والفكر الواحد شبيها إلى حد ما بالدكتاتورية التي كان يمثلها "الحبيب بورقيبة" فالغ

¹ صوفية بن يوسف، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع نفسه، جوان : 2012

² توفيق المدني، المرجع السابق، ص : 23 .

³ المنجي وارده، المرجع السابق، ص : 562 .

⁴ محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، شهري ديسمبر وجانفي 2013 – 2014

المظاهر الديمقراطية التي حاول أن يتظاهر بها في البداية، ومنع كل تواجد الأحزاب وقمع حرية الصحافة وأغلق صحف المعارضة كلها والتجاء إلى استخدام الإغراءات وإلى اعتماد أساليب الإرهاب والمطارة والتصفية الجسدية¹ على رأي أحد الذين عاشوا زمن بورقيبة وزمن المعارضة اليوسفية وهو الشاذلي بن عمر بورقيبة وهو شاهد عيان من جربة، أكد أن تونس عاشت الويلات فترة الصراع وحتى بعد حسم عملية الصراع لصالح "الحبيب بورقيبة" بقتل "الزعيم صالح بن يوسف" عاشت تونس فترة يمكن اعتبارها بتسلط "الحبيب بورقيبة" وسيطرته الكلية على مقاليد الحكم وأي معارضة ضده تقمع مباشرة².

وبعد أن قام النظام البوقي بتصفية "صالح بن يوسف" اغتيل في ألمانيا الغربية حدث في تونس في نهاية عام 1962، كانت في تونس محاولة انقلابية ذات طبيعة برجوازية صغيرة وطنية غير ملتحمة بالجماهير شارك فيها عدد من العسكريين والمدنيين المنتمين إلى المعارضة اليوسفية فكانت فرصة جديدة للنظام البوقي، الذي أراد أن يرهن من خلال استغلاله على قوته وجديته . وكان حصاد هذه المحاولة إعدام أغلب العناصر المشاركة فيها . وكان من بين المشاركين في الانقلاب وحكم عليه بالإعدام غيايا "الشيخ المسطاري بن سعيد" الذي توفي في دمشق في تموز 1997³.

وفي بداية السبعينات شكلت العناصر المتبقية من تيار المعارضة اليوسفسية حركة سياسية جديدة حملت اسم (الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس) ويقول أحد قادة الجبهة "عمارة ضو بن نايل": (لقد بدا نشاطنا منذ عام 1970 وكان أول نشاط علني في العام 1972، حيث أعلن عن اسم التنظيم في بيروت عبر مجلة (بيروت المساء) وقد حملنا وقتها اسم الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس وقد توافق هذا الإعلان مع نشر ميثاق الجبهة في المجلة ذاتها⁴ .

ولقد عززت الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس علاقاتها مع النظامين الليبي والجزائري وحيث كانت تتمتع بوجود سياسي شبه علني وشبه سري في ليبيا والجزائر . وعندما أعلن في تونس

¹توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 24 .

²الشاذلي بن عمر بورقيبة، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان : 2012

³توفيق المدني، المرجع السابق، ص : 20 .

⁴المرجع نفسه، ص : 20

عن إجراء انتخابات رئاسية عام 1974 قدمت الجبهة القومية مرشحا اسمها هو "الشيخ المسطاري بن سعيد" (احد رموز انقلاب عام 1962 والمحكوم عليه بالإعدام غيابيا ويقيم في المنفى منتقلا بين طرابلس والجزائر) ليكون منافسا للرئيس "الحبيب بورقيبة" الذي كان الحزب الاشتراكي الدستوري قد اتخذ قرارا بتجديد رئاسته وانتخابه رئيسا للبلاد مدى الحياة .

وكان "الشيخ المسطاري بن سعيد" قد قدم طلب ترشيحه إلى الانتخابات الرئاسية بوساطة السفارة التونسية في الجزائر . وفي مقابلة صحفية أجرتها معه جريدة السفير اللبنانية أعلن "المسطاري" عن برنامجه الانتخابي المتمثل في نقطتين :

1 - إسقاط النظام البورقيي وخياراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

2 - إقامة مجتمع ديمقراطي قومي في تونس .

وطالب مرشح الجبهة السلطات التونسية باحترام النصوص القانونية لدستور البلاد وإفساح المجال لكل الشعب التونسي للمشاركة في الانتخابات الرئاسية، بحيث تشمل التوانسة المقيمين في الخارج والبالغ عددهم 800 ألف شخص، كما طالب بتأليف لجنة محايدة لمراقبة الانتخابات من قبل جامعة الدول العربية¹ .

وصعق الرئيس "الحبيب بورقيبة" آنذاك من سماع مرشح تونسي محكوم عليه بالإعدام ينافسه في تلك الانتخابات الرئاسية فما كان رده إلا أن صعد الهجوم على الجبهة ورفض قبول ترشيح "المسطاري بن سعيد" إلى الانتخابات الرئاسية وقد ساق "بورقيبة" اتهامات إلى "الجبهة القومية" لتحرير تونس "تتمثل في تبعيةها لليبيا وفي سعيها إلى الوحدة مع ليبيا"² .

وفي غضون ذلك شنت الأجهزة القمعية التونسية حملة اعتقالات واسعة في صفوف أعضاء الجبهة في البلاد وقد تم تقديم 33 معتقلا للمحاكمة بتهمة :

¹توفيق المدني، المرجع السابق، ص : 20

²المرجع نفسه، ص : 21 .

- 1 - تفجير السفارة الأمريكية ودار البيعة اليهودية ومقر الحزب الحاكم .
- 2 - محاولة الاعتداء على رئيس الدولة الحبيب بورقيبة .
- 3 - الانتماء الى تنظيم غير مرخص له .

وصدرت الأحكام بحق المتهمين التي راوحت ما بين عام الى ستة عشر عام سجنًا، وكان من بين المحكومين "احمد مصباح ضوالمروغني" احد قياديي الجبهة والذي قاد عملية قفصة العسكرية عام 1980.

بعد تلك المحاكمة عززت الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس علاقاتها مع ليبيا، حيث تركز نشاطها في الجماهيرية الليبية التي كانت تشكل قاعدة خلفية لها تحمي نفسها من هجمة النظام التونسي عليها خصوصا أن العلاقات بين ليبيا والنظام التونسي آنذاك كانت دائما متوترة بسبب إعلان "القذافي" الرئيس الليبي آنذاك محاربه للرجعية العربية، كما كانت للجبهة علاقات مع بعض فصائل المقاومة الفلسطينية باستثناء حركة فتح التي كان يمثلها في تونس "الحكم بلعاوي" مرتبطا بأجهزة المخابرات التونسية، وكان يتعاون معها ضد فصائل الحركة الوطنية التونسية المعارضة فضلا عن أن فتح ذاتها لها علاقات جيدة مع النظام التونسي . واستقطبت الجبهة العديد من العناصر التونسية التي انخرطت مبكرا في صفوف التنظيمات الفلسطينية، وكذلك العمال العاملين في ليبيا وشكلت منهم لجانا ثورية وقامت بتدريبهم عسكريا في معسكرات الجبهة الشعبية واسندت القيادة العامة "لاحمد جبريل" قبل أنتستأنف نشاطها العسكري، حيث نظمت وقادت عملية انتفاضة عسكرية في مدينة قفصة في 27 كانون الثاني /يناير 1980 عبر رحلة طويلة انطلقت من بيروت الى روما والى طرابلس ثم من طرابلس الى روما والى الجزائر¹ .

وقد لعبت أجهزة الاستخبارات الليبية وجهاز الأمن العسكري الجزائري بقيادة "قاصدي مرباح" دورا رئيسيا في الترتيب والإعداد اللوجستيكي لهذه العملية التي كان من ابرز قادتها التونسيين "احمد المروغني" و"عز الدين الشريف" اللذين قادا الهجوم العسكري على قفصة.

¹توفيق المدني، المرجع السابق، صص : 22 - 23

ويقول "صافي السعيد" في كتابه الجديد (بورقية رحيل آخر البايات) حول هذا الموضوع مايلي "بدءا من عام 1975 راودت الجزائريين والليبيين أفكار كثيرة للإطاحة "بنويرة" رئيس الحكومة الأسبق ونظام بورقية . كانت كل دولة تحاول جذبه إليها لكن نويرة لم يكن ليضعف لا باتجاه الشرق ولا باتجاه الغرب . ساءت علاقات ليبيا مع مصر "بسبب كامب ديفيد" فلم تقف تونس إلى جانبها وساءت علاقات الجزائر مع المغرب بسبب الصحراء الغربية، فراوحت تونس إلى جانبها وساءت علاقات الجزائر مع المغرب . بسبب الصحراء الغربية فراوحت تونس مكانها بل مالت نحو المغرب . كان الاتفاق الضمني وهو أن "بومدين" و "القذافي" حصلا باتجاه تونس في حده الأدنى وهو أن النظام قد تآكل وصراعاته الداخلية قد تضعف موقفيهما ولكنهما لم يكونا يملكان خطة مشتركة للإطاحة به ولا اتفاقا مشتركا على إقامة نوع من الوفاق على أرض تونس . في تلك اللحظة لاحت فكرة في رؤوس البعض في العاصمتين الليبية والجزائرية مفادها أن نظام "بورقية" على شفير الحفرة ولا يحتاج إلا إلى ركلة صغيرة لكي يقع في تلك الحفرة . لم يكونا يملكان رجالا داخل الجيش التونسي كما كانا حذرين من مهمة التدخل واستفزاز الغرب وخاصة أمريكا التي كانت تبحث عن مدخل للتمدد تجاه ليبيا والجزائر . وفي ذلك الوقت بالضبط بدا سيناريو ما سوف يعرف بعملية قفصة يتضح للرجال المكلفين في كل من ليبيا والجزائر لمعالجة ملف تونس "بومدين" قد وضع فجأة تحت طائلة ذلك المرض الذي سيأخذه من الحياة حين سافر رئيس مخابراته العسكري "قاصدي مرباح" إلى طرابلس ليضع مع رجال "القذافي" اللمسات الأخيرة للهجوم الذي سيستهدف مدينة قفصة الجنوبية في كانون الثاني 1980 . كانت العملية ستنتقل في صيف 1979 . ولكنها تأجلت بسبب مرض "بومدين" فوُقت في "عهد الشاذلي بن جديد" الذي لم يكن يعلم بها ... وكما أوضح "القذافي" فيما بعد لإحدى الصحف الأجنبية فان "مرباح" هو الذي أعد الخطة مع "بومدين" وجاء إلى البيت ليطلب المساعدة والمشاركة¹ .

¹ الصافي سعيد ، المصدر السابق ، ص : 355 .

ورغم ما أحدثته عملية قفصة العسكرية من صدمة عنيفة هزت أركان السلطة في تونس بخياراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية اذ عجلت برحيل رئيس الحكومة "الهادي نويرة" من السلطة ومجيء "محمد المزالي" إلى رئاسة الحكومة في نيسان /ابريل 1980. إلا ان الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس خسرت المعركة عسكريا وبالتالي خسرت سياسيا في عملية المواجهة مع النظام .

كانت الخطة تقف عند حدود أحداث صدمة لنظام "بورقيبة" في احدي مدنه المهمة التي عرفت تقليديا بالتمرد ،ولكن الذين اختيروا لتنفيذها من التونسيين كانوا يعتقدون بأنهم ذاهبون لإعلان بدء الثورة المسلحة¹.

لقد فات أولئك الشباب الغاضب والمندفع أن لا ليبيا ولا الجزائر تريد ثورة مسلحة مع حدودها، وكما اعتقدوا أنالامداداتستأتيهمحين يتمكنون من السيطرة على مدينة قفصة، فقد توهموا أيضاًأنهم كانوا يقومون بعمل شعبي سيسانده كل الشعب حالما يعلن عن نفسه².

وبما أن الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس تمثل تيارا قوميا تقليديا هو امتداد طبيعي وموضوعي فكري وسياسي للحركة اليوسفية، فإنها عجزت سياسيا وتاريخيا عن أن تشكل بديلا ثوريا حقيقيا لتحرير تونس ولا نقيضا للنظام التونسي .وبما أنالأصلائي الحركة اليوسفية قد انهزم فلا بد للامتداد الطبيعي الذي تفرع عنه أي الجبهة القومية لتحرير تونس من أن ينهزم أيضا ولو بعد فترة من الزمن .

¹توفيق المدني،المصدر السابق ، ص ص : 26 – 29

²المصدر نفسه ، ص ص : 26 – 29

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع مذكرتنا الموسومة ب :

﴿الصراع اليوسفي البورقيبي 1954-1956﴾

يتضح أننا خرجنا بجملة من الاستنتاجات نذكرها في ما يلي :

- إنالدور الذي لعبته الحركة الوطنية التونسية في سنوات مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية في مقارعة ومجابهة الاستعمار كان من اجل تحقيق المكاسب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للشعب التونسي.
- تأسيس النواة الأولى للحركة الوطنية التونسية المناهضة للاستعمار الفرنسي ونظام الحماية.
- رافق هذا التنظيم السياسي تصاعد المد والنضال العسكري المسلح، غير أن هذا لم يكن بقيادة عسكرية موحدة، وإنما كانت حركات شعبية عارمة ضد المستعمر الفرنسي.
- إن الحزب الدستوري التونسي الذي تأسس سنة 1920 كان له الدور الكبير في تاريخ تونس المعاصر وحركات التحرر ، ويعود سبب هذا النجاح للحزب إلى التفاف الشعب التونسي حوله.
- يمكن اعتبار المرحلة التاريخية من سنة 1934 - 1938 بمرحلة الذروة بالنسبة للحركة الوطنية التونسية، خاصة بعد التحام معظم الشعب التونسي مع قيادات الحركة الوطنية التونسية.
- إنا كلا من الزعيمين سواء "الحبيب بورقيبة" و"صالح بن يوسف" كانا محل تجاذب بين مؤيد ومعارض في أواسط الشعب التونسي وحتى العربي والعالمي.
- إن التكوين السياسي والاجتماعي لكلا من الشخصيتين ساهم بقوة كبيرة في إظهار كل منهما في الساحة السياسية والدخول بقوة في المعترك السياسي والوطني ضد سلطة الحماية الفرنسية.
- إن العمل السياسي الذي قاما به الرجلين في الداخل والخارج جعل لهم أنصار حتى في خارج تونس نفسها.

- إن الدراسة الجامعية في باريس نفسها ساعدت في تكوين الزعيمين خاصة في الجانب السياسي وجعلتهم يحاربون فرنسا بفرنسا كما يرى "الحبيب بورقيبة".
- اختلفت طرق المقاومة لدى الزعيمين "فبورقيب"ة يرى دائما الحل السلمي مع فرنسا وعدم الاصطدام بفرنسا والسير بالبلاد بخطى ثابتة بسياسة المراحل، و "صالح بن يوسف" كان يميل دائما إلى طريق الكفاح المسلح، ويرى أن الحل السلمي يأتي بالاستقلال الكامل ومواصلة الكفاح المسلح لإخراج فرنسا من الأراضي التونسية.
- إن الصراع بين الزعيمين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة ليس وليد اللحظة والمقصود بها فترة الدراسة، وإنما هو متجذر في الحزب الدستوري التونسي الجديد فإذا ما عدنا إلى سنوات الثلاثينات نجد صراع شبيه بالصراع البورقيبي اليوسفي وهو الصراع بين "بورقيبة" وجماعته الجدد وبين أعضاء الحزب الدستوري القديم.
- سبب هذا الصراع أيديولوجي فكري فصالح "بن يوسف" له مبادئ و أصالة عربية إسلامية بينما "بورقيب"ة له مبادئ علمانية تعود في أصولها إلى الحضارة الغربية على وجه العموم والحضارة الفرنسية والانبهار بهم على وجه الخصوص
- تقرب فرنسا من "الحبيب بورقيبة" بسبب مبادئه وآرائه والتعجيل بمنح الاستقلال لتونس تبين له أن الشعب التونسي مال إلى كفة الكفاح المسلح ومواصلة العمل العسكري إلى جانب "صالح بن يوسف" وبالتالي يمكن أن تخرج الأمور من سيطرته.
- كان لتقرب فرنسا من "بورقيبة" ومنحه الاستقلال تضمن بذلك قطع الطريق أمام المد العربي الإسلامي إلى الشمال الإفريقي وضمان تبعية تونس لها إذ ما كانت تحت حكم الزعيم "بورقيبة".
- أفضى هذا الصراع إلى حسم التنافس السياسي حول الزعامة داخل تونس بعدما نالت تونس استقلالها الذاتي عن طريق اغتيال أحد أطراف الصراع وهو "صالح بن يوسف" بعد قرابة ستة سنوات من المواجهة العلنية، غير أنه من الخطأ اعتبار حادثة الاغتيال سببا مباشرا للزعامة الاوحدية بقيادة "الحبيب بورقيبة"، حيث ساهمت محطات عديدة في تأسيسها مثل

محطات السجون والمنافي والاعتقالات والاضطرابات التي طالت كل طرف يعارض سياسية "بورقية"، وبالتالي فان الزعامة "البورقيي"ة هي بناء تاريخي له حضور في الوعي الجماعي والذاكرة الوطنية للعموم التونسيين سواء كانوا بورقيين أو غير ذلك من انتمائهم السياسية فيما بعد، وهذا الموقف أثرت على مستقبل تونس وانعدمت الديمقراطية في بلاد كانت دائما تسعى للدفاع عنها بشتى الوسائل وأصبح الزعيم "بورقية" أو "المجاهد الأعظم" كما يطلق عليه الزعيم الواحد لتونس والزعيم السياسي لها .

- لقد حاول أنصار الحركة اليوسفية بعد اغتيال زعيمه التاريخي أن يؤسسوا جبهة شعبية تقف ضد النظام البورقيي لكن الرئيس التونسي "الحبيب بورقية" قمع هذه الثورة ونكل بزعمائها .

لقد كانت النتيجة الأخيرة لهذا الصراع وهو مقتل "الزعيم صالح بن يوسف" الذي قتل غدرا وخيانة من طرف النظام البورقيي في ارض غريبة بعيدة عن وطنه حيث عاش مجاهدا ومات شهيدا.

بيليوغرافيا

الدراسة

① أولا : الحديث النبوي الشريف

② ثانيا : المصادر

- 1 أبو بكر المالكي .رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادها وعبادها
وسير من أخبارهم وفقهائهم وواصفاهم. تح . حسين مؤنس . ج 1 . د د ن . د ط .
- 2 ابو عبد الله الشيخ محمد المسعودي . الخلاصة النقتية في امراء افريقية . مطبعة بيكار
وشركائه . تونس . ط 2 د س ط .
- 3 ابي عبيد الله البكري . المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د س
ط .
- 4 بن أبي الدينار . المؤنس أخبار افريقي وتونس . مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية .
تونس . د س ط . ط 1 .
- 5 بن أبي الضياف . إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان . تونس .
1963 . ج 4 .
- 6 بن منظور . لسان العرب . تح : خالد رشيد القاضي . ج 1 . دار الابحاث . د م ط .
ط 1 . 2006 .
- 7 توفيق المداني . المعارضة التونسية . نشأتها و تطورها . منشورات اتحاد الكتاب العرب .
دمشق . 2001
- 8 الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ، معركة الزلاج ، الشركة التونسية للتوزيع ،
تونس 1974 .
- 9 الحبيب بورقيبة ، بين تونس وفرنسا كفاح مرير طيلة ربع قرن في سبيل التعاون والحر ،

- المطبعة الرسمية، تونس، د ط ، د ت ط .
- 10 - الحبيب بورقيبة. حياتي آرائي جهادي. نشریات كتابة الدولة للاعلام. تونس .
د ط . د س ط .
- 11 - الحبيب ثامر. هذه هي تونس. مطبعة الرسالة. مطبعة المغرب العربي. د م
ط. د ط. د س ط.
- 12 - خالد عبید. الاستعداد للمواجهة الحاسمة 1945 - 1956. موجز تاريخ
الحركة الوطنية التونسية. د د ن . تونس . د ت ن . د ط
- 13 - خالد عبید. دلالات الخلاف البورقيبيالثامري بمصر وتفاعلاته " 1947 -
1950. مؤسسة التميمي للبحث العلمي. زغوان. افريل. 2000.
- 14 - الصافي سعيد: بورقيبة سيرة شبه محرمة. رياض الرسي للكتب و النشر.
بيروت. ب ط. 2000.
- 15 - عبد العزيز الثعالبي . تونس الشهيدة . تر : سام جندي . د ن . دار القدس .
لبنان . ط 1 . 1985 .
- 16 - كارل بركلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر : نبیه أمين ومنیر البعلبكي . دار
العلم للملايين ن بيروت ، ط 5 ، 1968 ..
- 17 - محمد المرزوقي . صراع مع الحماية . د ن . الدار التونسية للنشر والتوزيع .
تونس د ط. 1983 ..
- 18 - محمد فروة . المقاومة المسلحة خلال القرنين ال 19 وال 20 . منشورات
المعهد الأعلى للحركة الوطنية . أعمال الندوة ال 7 نوفمبر . تونس . 1995 .
- 19 - نشریات كتابة الدولة للأخبار والإرشاد . الحبيب بورقيبة. جهاده. حياته .

دار الكتب التونسية. تونس. 1966. د ط.

20 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4. دار صادر. بيروت. د س ط.

21 - يونس بن احمد حواله. الحياة العلمية في افريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح

حتى منتصف القرن الخامس هجري / 90 - 450 هـ / ج 1. مكتبة الملك

فهد الوطنية. مكة المكرمة. ط 1. 2000.

③ ثالثا : المراجع

- 22 - إسماعيل احمد ياغي . تاريخ العالم العربي . مكتبة العبيكان . الرياض . ط 1 . 2000 .
- 23 - إبراهيم حلمي الغوري . أطلس العالم . المؤسس العلمي للوسائل التعليمية . د دط . 2008 . ط 8 .
- 24 - أحمد القصاب : تاريخ تونس المعاصر 1881-1956 ، تع: حمادي الساحلي الشركة التونسية للتوزيع، تونس - ط 1 . 1986 .
- 25 - ادريس الرشيد . طريق الجمهورية . د دط . تونس . د س ط .
- 26 - آمال موسى . بورقية والمسالة الدينية . دار سراس للنشر . تونس . 2006 .
- 27 - أنور الجندي . عبد العزيز الثعلبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية . دار الغرب الإسلامي . بيروت . ط 1 . 1924 .
- 28 - بلقاسم بن محمد بن جراد . قابس عبر التاريخ ، د د ط ، تونس ، د ط ، 2001 .
- 29 - حرية توفيق مجاهد . الاستعمار كظاهرة عالمية . عالم الكتاب . القاهرة . 1975 .
- 30 - حسن محمد جوهر . شعوب العالم تونس . د ن . دار النشر . دار المعارف . مصر . 1961 .
- 31 - حلمي محروس إسماعيل . تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر . من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية . مؤسسة شباب الجامعة . الإسكندرية . ج 1 . 2003 .

- 32 - حمادى الساحلي . فصول في التاريخ والحضارة . دار الغرب الإسلامي . لبنان . ط 2 . 1992.
- 33 - حمادي الساحلي . فصول في التاريخ والحضارة . دار النشر، دار الغرب الإسلامي . لبنان . ط 2 . 1992.
- 34 - رابع بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، دار الهدى ، الجزائر ، ط 3 ، 2006.
- 35 - راغب السرجاني . قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011 . دار أقلام للنشر و التوزيع . القاهرة . ط 1 . 2011 .
- 36 - رأفت الشيخ . تاريخ العرب المعاصر . عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . د م ن . د ط .
- 37 - صلاح العقاد . المغرب العربي . دراسة في تاريخه الحديث والمعاصر . مكتبة الانجلو . المصرية القاهرة . د ت ن . د ط .
- 38 - الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية جديدة 1830-1956) . دار المعارف للطباعة والنشر . تونس . د، ط، د.س.ن.
- 39 - عادل بن يوسف . النخبة العصرية التونسية . طلبة الجامعات الفرنسية . 1880-1956 . كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة . تونس . 2006.
- 40 - عبد الحميد زوزو . تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا واسيا . دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع . الجزائر . 2012.
- 41 - عبد الواحد ذنون و خليل السامري ، تاريخ المغرب العربي ، دار المدار الإسلامي ط 1 . 2004 .
- 42 - عبد الوهاب التارزي . الحماية الفرنسية بدئها نهايتها حسب إفادات معاصرة .

- دار الرشاد الحديث . الدار البيضاء . ط 1 . 1980 .
- 43 - عروسية التركي: الحركة اليوسفية في تونس 1955.1956. دار النهى للطباعة
و النشر و التوزيع. تونس. د ط. 2001.
- 44 - علي البلهوان . تونس الثائرة . د د ط . د م ط . د ط . د ت ط .
- 45 - عمار السوفي . عواصف الاستقلال . د د ن . تونس . د ط . 2006 .
- 46 - فتحي الزيب . عبد الناصر وثورة الجزائر . دار المستقبل . مصر . ط 2 .
1990 .
- 47 - فرج عبد العزيز . القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا . دار الدعوة . القاهرة .
2000 . د ط .
- 48 - لجنة من الأساتذة . أطلس الزيتونة المدرسي . دار الزيتونة للإعلام والنشر . باتنة
الجزائر . 2003 . د ط .
- 49 - مؤلف مجهول . تونس بين الاتجاهات . دار الكتاب العربي . مصر . د ط . د ت
ط .
- 50 - محسن الخمري . الحركة اليوسفية . مجالها وحدودها " 1955 - 1961 " كلية
9 افريل . تونس . شهادة التعمق في البحث . 2006
- 51 - محمد الحبيب بن خوجة . محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام . الدار العربية
للكتاب . د م ن . ج 1 . تونس .
- 52 - محمد السعيد الدقاق . و مصطفى سلامة حسين . المنظمات الدولية المعاصرة . دار
الدراسة الجامعية . بيروت . 1990 .
- 53 - محمد السعيد عقيب . محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية المغاربية . جامعة

- الوادي . ألفت إلى طلبة الماستر . تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر .
شهرى ديسمبر وجانفي 2013-2014.
- 54 - محمد العربي الزبيري . تاريخ الجزائر المعاصر . منشورات اتحاد الكتاب العرب .
دمشق . ج 2 . 1999 .
- 55 - محمد الفاضل بن عاشور . الحركة الأدبية بتونس . الدار التونسية للنشر . تونس .
1983 . د ط .
- 56 - محمد الهادي الشريف . تاريخ تونس ما قبل التاريخ إلى الاستقلال . تع . محمد
الشاوش . محمد عجيبة . دار سراس للنشر . تونس . ط 3 . د س ط .
- 57 - محمد مالكي . الحركة الوطنية والاستعمار في المغرب العربي . مركز الدراسات
الوحدة العربية . لبنان . ط 2 . 1994 .
- 58 - محمود شاكر . التاريخ الإسلامي . التاريخ المعاصر لبلاد المغرب . المكتبة
الإسلامية . بيروت . دمشق . عمان . ط 2 . 1996 .
- 59 - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول
نوفمبر 1954 ، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية الجهة الشرقية 1954 -
1962 . سلسلة المشاريع الوطنية للبحث . طبعة خاصة بوزارة المجاهدين . د م ط
2007 .
- 60 - منصف الشابي . صالح بن يوسف حياة كفاح . دار نقوش عربية . تونس . د
ط . د س ط .
- 61 - نخبة من الأساتذة التونسيين : تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية و
دولة الاستقلال) . مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ،
تونس . د ط ، 2005 .

- 62 - يحيى ابو زكرياء، الحركة الإسلامية في تونس من الثعالي الى الغنوشي. د د ن .
تونس . د س ط . د ت ط .

④ رابعا : المراجع باللغة الأجنبية

Ali mahgoubi. les origines du mouvement en- 63
Tunisie.1904-1934. Publications de l'université du
Tunis.1982.

Pien Albin martell. Habib Bourguiba un homme une siecle.- 64
ed. franca. 1999.

André pautard. Bourguiba. ed. media. France. 1977. - 65
Habib bourgibaa. Ma vie mon ouvere 1928. 1933. - 66
.edition. plou. Paris

Vincent cofer. French. Colonial ideas before 1789. French- 67
historial. Vol. 3. No. 3 (sping. 1964).

M'Hamed oualdi . " l'orages des indépendanves .Salah ben- 68
Youssef et les youssiffistes . en Tunisie .entre . 1955 -
1956 " mémoire histoire université . paris .1998 - 1999 .

5 خامسا : الرسائل الجامعية :

- 69 - قدارة الشايب. الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب
الجزائري دراسة مقارنة . مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه .إشراف
الأستاذ الدكتور عبد الرحيم سكفالي. 2006-2007.
- 70 - عز الدين معز ، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية -
مقارنة - 1899-2000. إشراف الأستاذ الدكتور : عبد الكريم
بوصفصاف . أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ
الحديث والمعاصر . 2009-2010.

⑥سادسا : الجرائد والمجلات والموسوعات .

- 71 -جريدة الرأي :، 23 رمضان 1430.
- 72 -جريدة الزهرة . 9 أكتوبر . 1955 .
- 73 -جريدة الصباح .
- 74 -الرائد الرسمي للجمهورية التونسية . دستور الجمهورية التونسية المؤرخ
في 25 ذي القعدة 1378 . 1 جوان 1959 .
- 75 -غيلان سمير طه التكريتي . مجلة آداب الفراهيدي . العدد 13 . كانون
الأول . 2013 .
- 76 -قصة وتاريخ الحضارة العربية . موسوعة تعالج نشأة البلدان العربية
واحداثها . تونس والجزائر . د د ن . 1999.
- 77 -محمد بن عبود. جاك كاني. مؤتمر المغربي 1947 و بداية نشاط
المغربالعربي في القاهرة. المجلة التاريخية المغربية. عدد25.26. 1982.
- تونس
- 78 -مسعود الخوند . الموسوعة التاريخية الجغرافية . ج 7 . مؤسسة هاليد .
بيروت . لبنان . د ط . د ت ط .
- 79 -المنجي وارده. جذور الحركة اليوسفية . المجلة التاريخية المغربية.
العدد71.72مؤسسة التميمي. زغوان. تونس .

7) سابعا : الأشرطة العلمية السمعية المرئية .

80 - صالح بن يوسف جريمة دولة . شريط وثائقي بثته قناة الجزيرة الوثائقية .

شهر جوان 2012 .

81 - زمن الحبيب بورقيبة . شريط وثائقي بثته قناة العربية . شهر أوت

2006.

82 - خطاب الحبيب بورقيبة . موسوعة الأفلام العلمية . أشرطة وثائقية تعرضه

الجزيرة الوثائقية .

⑧ ثامنا : المواقع الالكترونية

83 - www.ingdz.com.

84 - [Forum. Eldwle.com./t25941.html](http://Forum.Eldwle.com./t25941.html)

85 - تقرير التنمية البشرية. الأمم المتحدة. برنامج الأمم المتحدة

الألماني U.N.D.P نيويورك 1999 .

86 - بسام حمدي. سياسي تونسي. منشور على

موقع: or.webmangerenter.com

87 - مدونة الدكتور إبراهيم العلاف ، أستاذ التاريخ الحديث ، جامعة الموصل.

منشور على الموقع

<http://www.wallafblogspotcom.blogspot.com>:

88 - مدونة الأستاذ : محمد ايت انيسو : [http/plhge.matoobblog.com](http://plhge.matoobblog.com)

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفهرس

الصفحة	محتويات الدراسة
19-12 .	المقدمة
	الفصل التمهيدي: الإرهاصات الأولى للعمل السياسي في تونس
23-21 .	① جغرافية البلاد التونسية
34-23 .	② بدايات العمل السياسي بعد توقيع معاهدة الحماية
	الفصل الأول: المسار السياسي والاجتماعي للحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف منذ النشأة إلى غاية بروز الصراع
40 - 36	① الحبيب بورقيبة المولد والنشأة
50-40	② نبذة عن نضال الحبيب بورقيبة السياسي بعد الحرب العالمية الثانية الى غاية الصراع بينه وبين بن يوسف
	③ المسار السياسي والاجتماعي لصالح بن يوسف من البداية الى غاية بروز الصراع
54-50	① صالح بن يوسف المولد والنشأة
56 - 54	② التكوين السياسي والاجتماعي لبن يوسف فترة ما بين الحربين الى غاية بروز الصراع
	الفصل الثاني : مظاهر الصراع بين الزعيمين وتطورات 1956-1953 .
64-58	① الظروف العامة للصراع بين الزعيمين
81-64	② جذور الصراع والمراحل التي مر بها
82-81	③ المواقف الداخلية والخارجية من الصراع
85-82	④ نتائج الصراع وانعكاساته
91-85	⑤ مصير الحركة اليوسيفية
95-93	الخاتمة

فهرس الموضوعات

108-97	بييليوغرفيا الدراسة.....
111-110	فهرس الموضوعات